9me Année No. 438

Lundi - 24 - 11 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة التاسعة « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ ذو القعدة سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٤ نوفبر سنة ١٩٤١ » العـــدد ٤٣٨

الفهـــــرس

١٧ - ٣٦

لا تقولوا أين الكتاب
وقولوا أين القادة ... !

أو كلما كظمت الأنفاس روائح الشر ، وكربت النفوس غواشى الفساد ، ذهل الناس عن مرسلى الريح ومثيرى القتام وقالوا أين الكتّاب ؟ هل الكاتب إلا نذير ؟ وهل على الكتّاب غير البلاغ ؟ لقد كتبوا حتى أوشك المداد أن ينفد ، وخطبوا حتى كاد الريق أن يجف ؛ ولكن أكثر العامة لا يقرأون ، وأكثر الخاصة لا يفهمون . ومتى أغنى القول عن الفعل ، وجَزَى الرأى عن العزيمة ؟

إن من أقبح ما يعاب علينا وعلى أمم الشرق أننا لم نعرف من أدوات السياسة ووسائل الإصلاح غير الكلام والكتابة ؛ فسياستنا خطب ، وإدارتنا تقارير ، ومناهجنا وعود . ولو كان الشعب قارئاً لرجونا من وراء الكتابة صلاح النفس فى الفرد وسمو الروح فى الجماعة ؛ ولكن الأمية لا تزال بفضل وزارة المعارف حجاباً مستوراً بين عيون الناس ونور الحق . فماذا عسى يصنع الكتّاب وليس لهم من الأمر شىء ؟ هل يصنعون إلا أن يفتحوا بأسنان أقلامهم أجفان المتعامين لتثب إلى عيونهم صورُ العيوب فيدركوها ؟ وهم قد فعلوا ذلك ولم يألوا : فعلوه فى الكتب والصحف ، وفى المدارس والمسارح ، حتى لم يبق فى هؤلاء الذين تعمموا

الحكم ، وتوزعوا السلطان ، وتنازعوا القيادة ، من لم يحفظ صور الفساد ووجوه الصلاح عن ظهر قلب ! ولكن الله الذى آتى زعماءنا ملكة الكلام لم يؤتهم ملكة العمل ! فهم يستطيعون أن يقولوا ما قال الكتاب ، ولكنهم لا يستطيعون أن يفعلوا ما فعل القادة . ومصداق ذلك أنك تراهم فى أندية الأحزاب ، وفوق مقاعد النواب ، وبين أعمدة الصحف ، يكشفون عن مواضع النقص ، ويشيرون إلى مواقع الكمال ، فيفتون فى كل مسألة فتوى العالم ، ويُدلون فى كل معضلة برأى الخبير ، ويعترضون على كل أمر اعتراض اليقظ ؛ فإذا وليناهم الحكم وخلينا بينهم وبين العمل ، التاث عليهم الأمر ، وبرّح بهم التطبيق ، وأصبح جهدهم مصروفاً إلى مناقضة القول بالقول ، ومعارضة الرأى بالرأى ؛ كأنما تبوأوا مقاعد الحكم ليردوا وهم وزراء ورؤساء ، على ما انتقدوه وهم كتاب وخطباء !

* * *

من من الزعماء يجهل أن الأمة لا تزال متخلفة فى الخلق والمرفة والحضارة عن أدنى أمم الأرض المعدودة قرناً من الزمان ؛ فحياتها بدائية ، وأخلاقها همجية ، ونظمها ارتجالية ، ومعيشة الزراع والصناع فيها أقرب إلى معيشة البهيم ، منها إلى معيشة الإنسان الكريم ؟ كلهم يعلمون ذلك وإن لم يقرأوه فى مقال أو يسمعوه فى خطبة ؛ ولكن اشتغالهم بسفساف الأمور ، وخسيس المطامع ، ودنىء الشهوات ، صرفهم عن النظر فى شؤون الناس وأحوال المجتمع ، فلا يذكرون الشعب إلا يوم يقوم الانتخاب ، وتصطرع الأحزاب ، ويحتاج كل طامع إلى سلالم من أكتاف المساكين يصعد فيها إلى النيابة والحكم

ومن من الأغنياء يجهل أن الفقر فى مصر ضربٌ من الرق يذل النفوس ، ويقتل المواهب ، ويشكك المرزوء به فى العدل والحق ؛ فهو يسكن ليستكين ، ولكنه قد يثور ليثأر ؟

كلهم يعلمون ذلك وإن لم يقرأوه فى مقال أو يسمعوه فى خطبة ؟ وهم مقتنعون بأن علة هذا الفقر هى أكلهم الحق الذى جعله الله فى أموالهم للفقير ؛ ولكن العلم وحده لا يبسط الأنامل الكزّة ، ولا يهز النفوس الشحيحة !

ومن من العلماء يجهل أن دين الله صالح لكل جيل من الناس ولكل حين من الدهر ؛ فهو ثابت بحقيقته ثبوت الخالق ، ولكنه متطورٌ بطبيعته تطور المخلوق . كلهم يعلمون ذلك وإن لم يقرأوه فى مقال أو يسمعوه فى خطبة ؛ ولكنهم أغلقوا على عقولهم باب الاجتهاد فظلوا فى دنيا الماضين ، يذهبون ما ذهبوا ، ويقرأون ما كتبوا ، ويجذبون ركب الإنسانية إلى الوراء ثلاثة عشر قرناً ليأخذ من ساكنى القبور جواز المرور !

ومن من الموظفين يجهل أن الأمة هى أسرته الكبرى ، وأن الوطن هو بيته الأكبر ؛ فالعمل الذى يقوم به هو عمله ، والمال الذى يقوم عليه هو ماله ، والرجل الذى يقف أمامه فى شأن من الشؤون هو أخوه ؟ كلهم يعلمون ذلك وإن لم يقرأوه فى مقال أو يسمعوه فى خطبة ؛ ولكنهم فى الكثير الغالب يتحاملون على ضمائرهم فيخضعونها لسلطان الكبر والأثرة ، فيرفعون أقدارهم على أقدار الناس ، ويضعون المنفعة الخاصة فوق المنفعة العامة !

ومن من التجار يجهل أن الحرام لا يزكو ، وأن الغبن لا يحلُّ ، وأن الحكرة لا تجوز ؟ كلهم يعلمون ذلك وإن لم يقرأوه فى مقال أو يسمعوه فى خطبة ؛ ولكنهم فى سبيل الثراء الدنئ يتعامون عن بؤس الفقير ، ويتصامون عن صوت الضمير ، ويهتبلون فرص الحرب ليعصروا الذهب والفضة من دماء القتلى ودموع الأيامى وعَرَق العَمَلة !

* * *

الواقع الذى لا مِرْية فيه أن أمم الشرق لا يعوزها إدراك النقص ولا عرفان الواجب ؛ إنما يعوزها الرجل الذى يطبق علمها على العمل ، ويوحد رأيها على الحق ، ويجرى خلقها على الرجولة ، ويجمع شتاتها على الطريق . فهل لصديقى العشماوى بك أن يوافقنى على أن مصر اليوم لا تحتاج إلى (علىّ) بلسانه الحكيم ، وإنما تحتاج إلى (عمر) بدرّته(١) الحازمة ؟

(المنصورة) احمد حسن الزيات

(١) الدرة علم على عصا عمر بن الخطاب

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

٢ – ديوان البارودي

للدكتور زكي مبارك

الذاتية البارودية : ما رواه الكاظمي وما رواه النقراشي — منابع الشاعرية البارودية : الشقاء بالحب ، والشقاء بالمجد ، والشقاء بالناس — وصف الحرب الروسية — البارودي في منفاه — جنازة البارودي : هل حملت على مدفع ؟ وهل ودعها رجال الجيش ؟ ...

في الكلمة الماضية نصصنا على بعض اللامح من شخصية البارودي ، في سياق الكلام عن المقدمة التي كتبها الدكتور هيكل باشا للديوان . واليوم ننص على ملامح جديدة تعين الطلبة على إدراك الشمائل النفسية والذوقية لذلك الفارس الفنان

فمن هو البارودي في شخصيته الذاتية ؟

لم يتفق لي أن أهتمّ بمعرفة ذاتية البارودي من الذين عاصروه وكان ذلك في الإمكان ، فقد كانت لي صلات مع الشاعرَيْن العظيمين : شوقي وحافظ ؛ وكنت أستطيع أن أعرف منهما أشياء لو أني التفتّ إلى هذه الناحية ... على أن الالتفات إلى هذه الناحية لم يكن كل ما ضاع مني ، فقد كان في نيتي أن أسأل « شوقي » عن تفسير الإشارة التي مرّت في كلمته الوجيزة وهو يقدّم كتاب الدكتور محمد صبري « أدب وتاريخ » ، فقد قال كلاماً يشهد بأن للثورة العرابية أسراراً أخطر من أن تذاع ، ثم مضت الأيام والسنون ، ومات « شوقي » قبل أن أسأله عن المراد بذلك التلميح

ومع هذا ، فقد أراد القدَر أن تساق إليّ أخبار البارودي بدون أن أتجشم عناء الاستخبار ، بفضل السهرات التي قضيتها مع الشاعر عبد المحسن الكاظمي في أعوامه الأخيرة ، وكان من جيراني ، وكنت أغتنم الأنس بحديثه كلما سمحت الظروف .

ومن أحاديث الكاظمي عرفت أن المروءة المصرية تمثلت لعينيه في شخصيتين كريمتين : الأولى شخصية محمد عبده ، والثانية شخصية محمود سامي ؛ ولا أريد في هذا المقام أن أذكر ما كان بين الشيخ محمد عبده والشيخ عبد المحسن الكاظمي ، فقد فصّله الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا أجمل تفصيل في أبحاث يعرفها جمهور القراء ، وأنا أبغض الحديث المعاد

أما حديث الكاظمي عن البارودي ، فهو عجب من العجب . كان البارودي على ألسنة أصحابه يتمتع بلقب « الأمير » ، ويقول الكاظمي : إن البارودي كان « أميراً » في جميع شمائله الذاتية . وقد أكد الكاظمي هذا المعنى في أحاديثه مئ عشرات المرات ، وما كان اسم البارودي يجرى على لسانه إلا ظهرت على وجهه أمارات الحزن الوجيع ، وقد سألته مرة عن سر هذه الحال فقال :

كنت أسكن في حارة « قِرمِز » بحيّ الجمالية ، وكان مسكني بغرفة صغيرة فوق سطح البيت ، وكان السُّلم مهدّم الدرجات وبدون درابزين ، وكان البارودي يرى من أدب « الإمارة » أن يردّ الزيارة لكل غريب ؛ وكنت يومئذ من الغرباء ، فقد كنت حديث العهد بالقدوم من العراق . وفي إحدى الزيارات تخوّف البارودي من ذلك السلم لضعف بصره ، فاعتمد بيده على الحائط ، فنفذ مسمار في كفه ، فزقه أشنع تمزيق ، وما ذكرت ذلك الحادث إلا تألمت لما كان يعاني « الأمير » في سبيل الوفاء !

ومن هذا الخبر البسيط نعرف كيف كان للبارودي في شمائله الذاتية ، فإذا أضفنا إلى ذلك أنه كان مفتوناً بالمجد أعنف الفتون ، وأن الأريحية المصرية كانت ملء برديه ، عرفنا أنه كان بطبيعة نفسه من الأمراء بغض النظر عن مجده الموروث

وهنا يتسع المجال لنادرة ذوقية تمد من الصور الشعرية ، وهي نادرة حدثني بها الأستاذ الكبير محمود فهمي النقراشي باشا في سنة ١٩٣١ ، قال :

كان البارودي يعرف مصيره بعد انهزام الجيش المصري في موقعة « التل الكبير » فاستدعى أحد أصدقائه من أعيان مديرية الغربية وأخبره أن في خزائنه كثيراً من الذخائر الذهبية ، وأنه يخشى أن تصير تلك الذخائر من غنائم المنتصرين ، ثم فوق بصره إلى ذلك الصديق وقال : هذه الذخائر وديعتي عندك ، فإن نفاني الإنجليز ومتّ في منفاي فهي لك مال حلال ، وإن أرادت الأقدار أن أرجع إلى مصر حياً بعد النفي فالنصف لي والنصف لك

وبعد سبعة عشر عاماً عاد البارودي من منفاه ، وطلب نصيبه من تلك الذخائر الذهبية ، فأنكرها ذلك الصديق ، وأظهر

استغرابه من أن تكون للبارودي عنده ودائع ، وقد خرج من مصر وهو حَريب سليب (؟!)

واتفق أن يمرض ذلك الصديق النادر بعد شهور قصار مرض الموت ، فتجشم الشيخ محمد عبده مشقة الانتقال إليه ليفهمه أن « الدنيا لا تغني عن الآخرة » وأن من واجبه أن يردّ بعض تلك الديون ليلقى الله وهو خفيف الأوزار ، فجادت نفس ذلك المحتضَر بعشرة آلاف وهو ينتظر أن يقبلها البارودي مع الحمد والثناء (؟!)

وجاء الشيخ محمد عبده إلى البارودي بصرّة ثقيلة فيها عشرة آلاف من الجنيهات المصرية ، وهو يرجو أن يكون في تلك الصرة عزاء للبارودي عن بلواه بذلك العقوق

فاذا وقع ؟ نظر البارودي إلى الصرة نظر الليث الشبعان إلى الثمر المطلوب ، وصاح : « لن آخذ درهماً من هذه الألوف ، ويجب أن ترد حالاً إلى سارقها قبل أن يموت ، انكوى بها جنوبه وهو مرموس ، وله الويل إن وقع بصري عليه يوم الحساب أمام الواحد الديان »

هنا تنتهي رواية النقراشي باشا ، وقد بقي من الرواية فصل ، فما هو ذلك الفصل ؟

حدثني من عرفوا الشيخ محمد عبده أنه كان يصفي برّه وعطفه على من يقرأ في حضرته بيتاً من الشعر بفهم وإدراك ؛ فكيف يكون حاله وهو يشهد هذه الصورة الشعرية ؟

من المؤكد أن الشيخ محمد عبده قد طرب لإيمان البارودي ، وعظمة البارودي ، وإباء البارودي . ومن المؤكد أن هذه الواقعة أقنعته بأن مصر لا تزال بعافية ، وأنها ستكون إلى الأبد من أكرم المنابت لأحرار الرجال

أكتب هذا وأنا أذكر أن هيكل باشا قال في تقديم الديوان إن البارودي « وُلد بمصر » فبأي مكان من « مصر » وُلد هذا الفارس الشاعر ؟ وفي أي مكان مات ؟

في شارع « غيط العدة » بالقاهرة دار تسمى « سراي البارودي » وهي سراي عبثت بها مصلحة التنظيم ففعلت بها الأفاعيل ، ولم يبق منها غير جانب هو اليوم « مخزن » لبعض المتجرين في توافه الأشياء

فإن لم يكن البارودي وُلد في تلك الدار ففيها أبت يده أن تتسلم عشرة آلاف من الجنيهات لغرض تعجز عن وصفه ألوف القصائد والأقاصيص . ومن واجب « مصلحة الآثار العربية » أن تستبقي أطلال تلك الدار يوم تفهم أن الأدب له قدسية تفوق قدسية التاريخ

إن الفرنسيين أبقوا على منزل مضعضع الأركان بشارع سان جرمان في باريس ، لأنه مولد شاعرهم « ميسّيه » ، وإلى ذلك المنزل يحج عشاق الأدب الفرنسي . فهل يعرف شبان مصر أين يقع منزل شاعرنا البارودي في القاهرة ، وأين تقع دار هواه في حلوان ؟

إلى الله المشتكَى من ضياع الأدب في هذه البلاد ، ومنه نستمدّ العون على ما يعاني الأدب من ثرثرة أهل البغي والعقوق !

منابع الشاعرية البارودية

الشعر فيض من الشعور بحقائق الوجود ، وهي حقائق يحسها الناس بمقدار ، ويحسها الشاعر بقوة لا تتاح إلا لمن كان في مثل روحه المتوقد وخياله الوثاب

والذي ينظر في أشعار البارودي يجده أحس الحياة أعنف الإحساس ، ويراه انطبع على الشعور بما فيها من شهد وصاب وأقوى باعث عند البارودي هو « الفُتُوّة » ، فوجهه يشهد وآثاره تشهد بأنه كان من أكابر الفتيان

وفتوة البارودي فتوة أصيلة تأخذ وَقودها من القلب والروح ، فهي التي أشقته بالحب ، وأشقته بالمجد ، وأشقته بالناس

تنظر إلى البارودي المحب فترى فتًى فاتك الصبوات في قدسية وجلال ، فتفهم أن الحب شريعة وجدانية لا يتردد الفتى في اعتناقها ولو كان رئيس الوزراء . فالحب عند البارودي ليس نزوة شباب يُطلب منها المتاب ، وإنما هو جذوة روحية تصل صاحبها بسرائر الوجود ، وترفعه إلى أوج الخلود

هل قرأت أشعاره في الحنين إلى روضة المقياس ؟

وهل تذكر أنه أول شاعر في العهد الحديث تغنى بصبوات القلوب على شواطئ النيل ؟

وهل تعرف أنه صدَح بتلك الأغاني في أوقات كان فيها الغَزَل فناً لا يليق بعظماء الرجال ؟

إن البارودي مجّد الفتوة المصرية بتلك الأغاريد ، وجعل لمصر مكاناً في ضمير الوجود ، فما تطرب الأريحية الإنسانية لأكرم ولا أشرف من التغني بأوطار الأرواح في مثل معاهد

الجيزة والروضة وحلوان ، وهي معاهد جهلها الشعراء ، وندر فيهم من يعرف وجوهها الصِّباح

وفي أي عصر هتف البارودي بتلك الأغاريد ؟

في العصر الذي كان فيه بدء كتب الشعر بالبسملة موضع خلاف بين جمهور المؤلفين

ثم ننظر فترى الشاعر المفتون بمطالع الأقمار على شواطئ النيل قد امتشق السيف ليواجه الحرب في كريت ، أو ليخوض البلاء في فجاج الأراضي الروسية ، وهو في هذه الوقعة أو تلك لا ينسى مواقع هواه في ملاعب الجيزة والروضة وحلوان

إن حائية البارودي في وصف الحرب الروسية لو تُرجمت اليوم ووُزِّعت على جنود الروس والألمان لرأوها من الأعاجيب ، وفيها يقول :

لعمري لقد طال النوى وتقاذفت ... مهامه دون الملتقى ومطاوحُ
وأصبحت في أرض يحارُ بها القطا ... وترهبها الجِنّان وهي سوارح
بعيدة أقطار الموامي لو عدا ... سُلَيْكٌ بها شأواً قضى وهو رازح
تصيح بها الأصداء في غسق الدجى ... صياح الثكالى هيجتها النوائح
تردّت بسمّور الغمام جبالها ... وماجت بتيّار السيول البطائح
فأنجادها للكاسرات معاقلٌ ... وأغوارها للعاسلات مسارح
مهالك ينسى المرء فيها خليله ... ويندُرُ عن سوم العلا من ينافح
فلا جوّ إلا سمهريٌّ وقاضبٌ ... ولا أرض إلا شمّريٌّ وسابح
ترانا بها كالأسد ترصد غارةً ... يطير بها فتقٌ من الصبح لامح
مدافعنا نصب العدا ومُشاتنا ... قيامٌ تليها الصافنات القوارح
ثلاثة أصناف تقيهن ساقةٌ ... صياح العدا إن صاح بالشر صائح
فلست ترى إلا كماةً بواسلاً ... وجُرداً تخوض الموت وهي ضوابح
نغير على الأبطال والصبح باسمٌ ... ونأوي إلى الأدغال والليل جانح
بكى صاحبي لما رأى الحرب أقبلت ... بأبنائها واليوم أغبر كالح
ولم يك مبكاه لخوفٍ وإنما ... توهمَ أني في الكريهة طائح
فقال: اتئد قبل الصيال ولا تكن ... لنفسك حرباً إنني لك ناصح
ألم تر معقود الدخان كأنما ... على عاتق الجوزاء منه سرائح
وقد نشأت للحرب مزنة قسطل ... لها مستهلٌّ بالمنية راشح
فلا رأيَ إلا أن تكون بنجوة ... فإنك مقصود المكانة واضح
فقلت : تعلّم إنما هي خطة ... يطول بها مجدٌ وتخشى فضائح
فما كل ما ترجو من الأمر ناجعٌ ... ولا كل ما تخشى من الخطب فادح

فهذه الحائية من عيون الشعر العربي ، ولو سمعها أبو فراس لسجد لها سجود الإعجاب ، فما عرفت اللغة العربية من الشعراء الفرسان أخيل من البارودي وأبي فراس

وللبارودي في الحرب الروسية قصيدة أخرى هي الدالية ، ولكن أي قصيدة ؟ تلك أقباس لا تصدُر إلا عن روح مَريد ، من أرواح الفتيان الصناديد ، وفيها يخاطب أحبابه في مصر فيقول :

نأت بي عنكم غربةٌ وتجهّمتْ ... بوجهي أيامٌ خلائقُها نُكْدُ
أدور بعيني لا أرى غير أمةٍ ... من الروس بالبلقان يخطئها العدّ
جواثٍ على هام الجبال لثارةٍ ... يطير بها ضوء الصباح إذا يبدو
إذا نحن سرنا صرّح الشر باسمه ... وصاح القنا بالموت واستقتل الجند
فأنت ترى بين الفريقين كُبّةً ... يحدث فيها نفسه البطل الجعد
على الأرض منها بالدماء جداولٌ ... وفوق سراة النجم من نقعها لِبد
إذا اشتبكوا أو راجعوا الزحف خلتهم ... بحوراً توالى بينها الجزر والمدّ
تشلّهم شُلّ العطاش بنتبها ... مراغمة السُّقيا وماطلها الورد
فهم بين مقتول طريح وهارب ... طليح ومأسور يجاذبه القِد
نروح إلى الشورى إذا أقبل الدجى ... ونغدو عليهم بالمنايا إذا نغدو
ونقع كلج البحر خضت غماره ... ولا معقل إلا المناصل والجرد
صبرت له والموت يحمرّ تارةً ... وينغل طوراً في العجاج فيسود
فما كنت إلا الليث أنهضه الطوى ... وما كنت إلا السيف فارقه الغمد
صئول وللأبطال همس من الونى ... ضروب وقلب القرن في صدره يعدو
فما مهجة إلا ورمحي ضميرها ... ولا لَبّة إلا وسيفي لها عِقد
وما كل ساعٍ بالغ سُؤْل نفسه ... ولا كل طلّاب يصاحبه الرشد
إذا القلب لم ينصرك في كل موطن ... فما السيف إلا آلة حملها إدّ

وقد تحدث في هذه الدالية ، كما تحدث في الحائية ، عن شوقه إلى مصر ولياليها البيض بروح لم يتحدث بمثله أحد من الشعراء

الذين سبقوه إلى الحديث عن مباهد الوجد بهذه البلاد

ثم يقضى القَدَر في مصير البارودى بما قضاه ، فيشترك في الثورة العرابية ، وتقع أحداث وخطوب تنقل وطنه من الخيط الأبيض إلى الخيط الأسود ، ويلتفت فيرى دنياه خلت من الرمح والسيف ، ولم يبق إلا أن يعيش في جحيم النفي والاغتراب بلا ظفر ولا ناب

لم يكن للبارودى نية في الثورة العرابية ، فنحن نرجح أنه اشترك فيها بلا قلب ، ولو كان من جناتها لصار التاريخ غير التاريخ فقد كان من مناوير الأبطال ، وكان يستطيع أن يرد المكروه عن بلاده لو آمن بما آمن به العرابيون ، وكان يستطيع على الأقل أن يظفر بالاستشهاد في ميدان الجهاد

ومعنى هذا الكلام أن البارودى كان يملك التنصل من تبعة الثورة العرابية ليسلم من التأذى بعواقبها السود ، ولكن فتوته أبت عليه أن يقف ذلك الموقف البغيض . فشارك إخوانه في البأساء ، واستسلم لحكم القضاء ، في سبيل الوفاء

نُفِىَ البارودى إلى سرنديب وهو في يأس من المعاد . فقد كانت الظروف الدولية تنطق بأن لا أمل في تغيير مركز مصر السياسى ، وكانت الأخبار توافيه بأن مصر ضعيفة الرجاء في زحزحة الاحتلال

وفي تلك المدة كانت أحوال أهله في مصر تنتقل من ظلمات إلى ظلمات لغياب راعيها الأمين ، فكان روحه ينتقل من جحيم إلى جحيم

هل رأيت الأسد المأثور في حديقة الحيوان ، ولاحظت أنه يزأر من وقت إلى وقت ليسرى عن نفسه بالزئير مع اليأس من الحرية ؟

كذلك كان البارودى ، فما ترك الشعر الحماسى في أعسر أوقات الضيق والكرب ؛ ولا سمحت نفسه بأن يتوب من الغطرسة والاستعلاء

عفاء على الدنيا إذا المرء لم يعش ... بها بطلاً يحمى الحقيقة شدُّهُ

وإنى امرؤ لا أستكين لصولة ... وإن شدساقى دون مسعاى قده

ويطول بلاء البارودى في منفاه ، ويستيئس من الأمجاد الحربية ، فيقبل على الأمجاد الأدبية ليضمن لنفسه الخلود

وفي تلك الآماد من البلاء يلتفت البارودى التفاتة جدية إلى ماضى الشعر العربى فيضعه في الميزان ليختار من أطايبه ما يشاء

وهل كان معاصرو البارودى يعرفون من ماضى الشعر العربى مثل الذى يعرف ؟

ثم تسمح الدنيا بأن يلقى البارودى وطنه بعد اليأس من اللقاء ، ولكنه لا يعيش في رحاب الوطن غير أعوام قصار قضاها وهو أشبه بالمكفوف ، ولعله لم يمت إلا حين عرف أن القاهرة لن تكون أمام عينيه إلا سواداً في سواد ، وكانت لياليها أشد إشراقاً من الصباح

ولم يتسع الوقت فأرجع إلى الجرائد المصرية في أواخر ديسمبر سنة ١٩٠٤ ، لأعرف كيف كانت جنازة البارودى ، وأغلب الظن أنها لم تحمل على مدفع ولم يشترك في توديعها رجال الجيش رعاية لبعض الظروف الثقال ، مع أن البارودى كان من نماذج البطولة المصرية في ميادين الحروب

انتهت دنيا البارودى ، وانقضى ما كان يعانى من بوائق الغدر والجحود ، وبقى للبارودى ما لم يبق لأمثاله من رجال السيف ، بقى شعره المسطور على ضمير الزمان ، والشاعر الصادق أخلد من الخلود

زكى مبارك

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٩٤١/٩/٢٤ في القضية رقم ٤٧٦ سنة ١٩٤١ ، ضد محمود مرسى سلامه تاجر بقالة بدمنهور بغرامة ٥٠٠ خمسمائة قرش صاغ والنشر على مصاريفه لبيعة كبريتا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة .

التطور البشرى

للدكتور جواد علي

ما هى مقاييس التمدن وأين هى مظاهره ؟ أهى فى حركات الإنسان وطراز ملابسه ومجموعة مظاهره الخارجية ، أم هى فى أثاث بيته وأشكال سيّاراته ووسائل راحته وعدد خدمه ، أم هى فى الإنتاجين العقلى والمادى للبشرية ؟ يختلف الجواب طبعاً على هذه الأسئلة باختلاف عقلية المرء ودرجة ثقافته . فجواب العلماء يختلف ولا شك عن جواب السواد الأعظم من الدهماء . وجواب الشرق يختلف كثيراً عن جواب الغربى ، وكذلك جواب الفقير عن جواب الغنى

أما المقاييس العلمية فتستند طبعاً على أسس فنية منتظمة ، وقواعد منطقية محكمة ، لا تكتفى بالظاهر ولا تقتنع بالظواهر ، لها أحكام خاصة ونتائج تستند على مقدمات وبراهين . و « وحدة التطور » فى حيـاة البشرية بالنظر للغة العلم هى « الـكفاءة » والقابلية وقوة الابتكار ؛ وهى وحدة تقاس بها كفاية الأفراد كما تقاس بها كفاية الشعوب والأمم باختلاف الأجيال والعصور . فكلما أعرقت البشرية فى المدنية ازدادت قوة ابتكارها وتنوعت اختراعاتها وتشعّبتْ اكتشافاتها وتعقدت حياتهـا وزادتْ احتياجاتها عن مستوى حياة الإنسان السابق[1]

ولا تقتصر هذه الـكفاية على الـكفاية الروحية فقط ، بل تشمل الـكفاية الجسمية والمادية أيضاً . ومعنى هذه الـكفاية هو خلق جيل قوى جبيل ، مثلاً ذى أعضاء وعضلات قوية متناسبة لا تدكه الأمراض ولا تؤثر فيه الجراثيم ، فهو يستطيع أن يقاوم ويقاوم . يتمرد على الطبيعة كما كانت الطبيعة تتمرد على الإنسان

(١) من أحسن الـكتب التى ألفت باللغة الانكليزية فى هذا الموضوع هو كتاب « التقدم والفقر » للعالم الأمريكى الاقتصادى الشهير هنرى جورج (ولد عام ١٨٣٩م) ، وقد ترجم كتابه إلى معظم اللغات الحية ونال المؤلف شهرة علمية وسياسـية عظيمة فى أمريكا وأوربا حتى ألف باسمه حزبا سياسياً أطلق على نفسه اسم « حزب جورج » . راجع Stiegmann Socialismus ص ٢٩ .

السابق . له أهداف ومثل عليا كلما نال منها نصيباً طمع فى أخرى ؛ لا تقصر همته كما قصرت همة الشعوب المنقرضة[1]

والتقدم فى الناحية الثقافية معناه تقدم الإنسان تقدماً مطرداً فى دائرة الثلاثية مثل مثله العليا وأهدافه الأخلاقية ومطامحه فى الحياة وأساليب معيشته واحتياجاته البيتية بحيث تتعقد حياته الروحية وتصعب وتتنوع طرق تفكيره وطراز تعبيره عن أفكاره فى القول والـكتابة ، ويبدع فى الإفصاح عن شعوره وما يجيش فى نفسه فى الموسيقى والشعر والتمثيل والغناء . وكلما تنوعت هذه وتشعبت وتميزت دلت هذه التطورات على تقدم ونمو وسير مع النواميس الطبيعية لهذا الكون . لذلك كانت احتياجات الشعوب المنحطة فى هذه الناحية ابتدائية بسيطة بينما هى قد تعقدت وتنوعت فى الأمم الأوربية المتقدمة تعقداً مهماً

وتطور البشرية دائماً من بشرية ذات قابلية معينة محدودة ، ومن بشرية ذات كفاية مقدرة ، إلى بشرية أكثر قابلية وكفاية هى نظرية العلماء الطبيعيين وأصحاب نظرية العالم الإنكليزى داروين والنظرية المعروفة باسم نظرية Malthusche Theorie[2] .

وهذا التناسق الذى يحدث بمرور الزمن فى نظام البشر فيجمع شمل الحياة الإنسانية فى محيط معقد معين غير متباين بعد أن كانت الحياة غير متسقة متنافرة ، هو التطور المقصود فى نظر العالم الإنكليزى هربرت سبنسر Herbert Spencer[3] .

وقد صور هذا التطورَ فى مدنية الإنسان الفيلسوفُ الألمانى هيكل بصورة ملفة من ملفات البردى تنفتح بصورة متوالية كلما انفتح دور فى حياة الإنسان المدنية حتى تنتهى بدرجة الـكمال أو الإنسانية المطلقة . وقد أطلق على هذا الدور Totalität Als Menschheit[4] . وهذا التطور هو من العلامات الفارقة بين

(١) راجع كتاب Farischritt Und Armut تأليف الأمريكى الشهير Henry George . ص ٣٤٧ وكذلك كتاب قاموس الفلسفة لشميد ص ١٨٦

(٢) نفس المصدر . ٣٤٧

(٣) سبنسر وهو فيلسوف انجليزى ولد فى دربى Derby عام ١٨٨٩م وتوفى عام ١٩٠٣ م وهو من الفلاسفة الذين لعبوا دوراً هاما فى العالم الفكرى فى انكلترة وقد ترجمت معظم كتبه إلى مختلف اللغات الأوربية

(٤) راجع كتب الفيلسوف الألمانى (Hegel) والـكتب الـكثيرة التى وضعت عنه . وهناك مذهب خاص فى الفلسفة عرف باسم (مذهب هيكل) وله أتباع يعرفون (بالهيكليين) Hegelianer Hegelianismus

الحيوان والإنسان وبين الشعوب المتمدنة وبين الشعوب المتوحشة. ونحن لا نكاد نشعر بظواهر التطور فى حياة الأمم الابتدائية والمتوحشة بينما نلمس ذلك بصورة جلية فى الأمم المتقدمة التى يظهر فيها التطور كلما تقدمت درجة فى المدنية. فوضوح التطور أو غموضه إذاً مقياس يعتبر من أهم المقاييس التى تستعمل لقياس مدنية أمة من الأمم وتقدير منزلتها من بين منازل شعوب الأرض

ولا بد أن يقترن ذلك التطور كما قلنا بالابتكار وبالإنتاج ويرفع مستوى المعيشة لأفراد الأمة Standard والرفاهية. ولفظه Smartness كما يطلق على ذلك الأمريكيون[1] ولذلك يعتبر الرأى العام الإنكليزى نفسه أرقى فى المدنية من الفرنسيين لأن الإنكليز أقدر منهم على الابتكار والإنتاج وعلى مجابهة الحوادث، وأكثر منهم قابلية وكفاية بصورة عامة، ودرجة الرفاهية لديهم أعلى من نسبة درجة الرفاهية لدى الفرنسيين[2]

وكلما كان هذا التطور فى المجتمع عاماً شاملاً كانت جذور الأمة فى المدنية أقوى فيها وأرسخ، وأقدر على مجابهة مشكلات الأمور وحوادث الزمان، وأحكم فى السيطرة على أجزاء المملكة وعلى تكوين رأى عام متماسك متقارب فيها لا ينفك بسرعة. وهذا هو السر فى انهيار بنيان شعوب البلقان مثلاً بسرعة بينما نجد الأمم الجرمانية والإسكانديناوية قوية تقاوم البشر والطبيعة على حد سواء

وهو من العلامات الفارقة بين الحضارات القديمة حتى القرون الوسطى وبعد ذلك، وبين الحضارة الحديثة والتى سبقتها. كان التطور فى الزمان السابق قد اقتصر على طبقة معينة من الناس وهى الطبقات العليا، أعنى رجال القصر وحاشية الحكومة ورجال اللاهوت. أما الطبقات الدنيا فكانت فى مستوى فكرى روحى منحط. لذلك لم تكن حلقات الأمة محكمة، ولم يكن المستوى العقلى فيها متشابهاً أو واحداً. لذلك كانت خواص الأمة العقلية وخواصها الفسيولوجية منحطة واطئة، لأنها لم تكن متطورة، فلما أخذت الطبقات الدنيا تشارك الطبقات العليا فى التعليم وتشاركها فى وظائفها العليا وحقوقها المكتسبة أدركت الأمراض التى كانت تحيط بها والأخطار التى كانت تهددها، فاحترست منها وأخذت تقاومها مقاومة رجل عالم خبير فقوت عقلها وقوت جسمها فى وقت واحد[1]. ولذلك خف ضغط الشعوب المتوحشة على الشعوب المتمدنة، ثم زال عنها بالتدريج. كان أهم مميزات حضارة الإنسان الأول هو ضعف تلك الحضارة من حيث ناحية الدفاع تجاه الأمم المتوحشة إذ كانت القوة للعضلات وكثرة العدد. فلما تطور الإنسان وظهرت حضارة القوة انعكست الآية وأصبحت الشعوب المتوحشة فريسة الأمم المتمدنة القوية، وأصبحت الأمم المتمدنة هى التى تملى إرادتها على الشعوب المتوحشة وتكيفها كيف تشاء؛ لأن القوة لم تعد قوة العضلات ولا قوة الجسارة والطيش، إنما هى قوة التكيف والتطور والابتكار والمهارة. وأصبحت الأمم المتمدنة لا تفنيها إلا الأمم المتمدنة. والأمم المتمدنة هى الأمم التى تصمد أكثر من غيرها تجاه مطارقة الأعداء فى أية ناحية من نواحى الحياة

حقق التطور البشرى كثيراً من أحلام البشرية وفك بعض طلاسم الكون والوجود، ولكن هل يستمر هذا التطور فى سيره السريع هذا؟ وهل يأتى يوم تحقق فيه البشرية كل ما كانت تحلم به أو تصبو إليه، فتتكون على الأرض البشريةُ المثلى وينعم الإنسان فى هذه الجنة الأرضية بالخلود والنعيم؟ آمن بعض ذوى الخيال الواسع من العلماء بهذه الفكرة الجميلة فحاولوا قديماً وحديثاً استغلال العلم واستعباد العقل للعثور على سر الحياة واكتشاف لغز الموت لمقاومته، واقتنع آخرون بنظرية إطالة عمر الإنسان مدة تزيد على مدة العمر الطبيعى. وأبى آخرون إلا أن يهتدوا إلى سر الكون، وإلا أن يتوصلوا إلى إدراك كنه ما نسميه بالطبيعة، وأن يجدوا لهم سبيلاً إلى الشمس والنجوم أو طرقاً للمحادثة مع سكان الأجرام العلوية على الأقل[2].

(١) راجع كتاب Fartschritt und Armut ص ٣٤٧، وكتاب The Histor of long civi. 1932 ص ٣٠٤

(٢) نفس المصدر وراجع أيضا كتب تاريخ الحضارة، أو علم النفس الشعوب Volkerpsy chology

(١) راجع كتاب Fortschritt ص ٣٦٢، وكذلك كتاب العالم Walter Bagehot وعنوانه Physics And Politics

(٢) راجع كتاب Fortschritt ص ٣٤٩ راجع أيضا قاموس الفلسفة لشميد ص ٤٠٤. وكتب الفيلسوف الألمانى الشهير فرانس مولر لاير Franz Müller Layer (١٨٥٧ — ١٩١٦)، والفيلسوف Golscheid Rudolf (١٨٧٠ — ١٩٣١) وهو صاحب نظرية الانسان الاقتصادى

ولكن دلت التجارب على أن كل تطور يعقبه تطور من جهة أخرى لا يرغب فيه الإنسان . قضى علماء الطب على معظم الأمراض القديمة ، ولكن المعامل الكبرى والمدن الضخمة والسكك الحديدية وضجة الآلات والسرعة الرهيبة ، كل هذه جاءت إلى البشرية المتطورة بأمراض لم يكن يعرفها إنسان الماضي ، وستجيء بأمراض ولا شك لإنسان المستقبل لم نكن نعرفها نحن جزاء تطوره هذا .

وقد جاءت الاختراعات والثورة المادية بعوامل اجتماعية زلزلت بنيان البيت القديم وقوضت دعائم قدسياته الاجتماعية وقواعده الأخلاقية التي كان يستمتع بها . وجاءت بعادات جديدة فرضتها عليه فرضاً ، ووسع هذا التطور مجال الحروب فجعلها عالمية وقد كانت موضعية ، وجعلها آلية تكلف الإنسان ثمناً باهظاً تبتلع معظم ميزانية الدولة فلا تنتهى الحرب حتى يدخل فى حرب أخرى جديدة أعم من تلك وأعظم[1]

لذلك تشاءم بعض الفلاسفة من هذا التطور فأعلنوا ثورتهم على التطور الحديث والمدنية الحديثة فاعتزل الفيلسوف الشهير شيخ المتشائمين المحدثين شوبنهور هذا الكون ومن فيه متمثلاً

(١) راجع كتب فلاسفة ما بعد الحرب العظمى . لا سيما كتب المتشائمين منهم والناقمين على الحرب

بآراء فلاسفة الهنود ساخراً من كل شىء إلا من كلبه الأمين الذى أطلق عليه كل العالم Weit gaum ليعبر بذلك عن مقدار استخفافه بهذا العالم[1]

وتبرم فيلسوف آخر هو الفيلسوف المتشائم شبنكلر من الحضارة الحديثة ومن الثقافة المادية التى صبغت كل شىء حتى المثل الأخلاقية بالصبغة المادية ، وهدد بناء أوربا بسقوط عاجل سريع فى أنجيله الفلسفى الجديد « سقوط الغرب »[2] وقد أبان فيه أن الإنسان قد تطور تطوراً سريعاً جداً

أما من حيث الناحية الروحية فقد سارت البشرية فيها ولا شك بخطوات سريعة أيضاً ولكن إلى الوراء ، ونادى الفيلسوف الدانماركى كيركه كارد Sören Kierkegaard أبناء قومه بعبارة تنم عن نفسية أوربا الحديثة : « هيا إلى الدين »[3]

مراد على

(١) راجع الكتب المؤلفة في حياة هذا الفيلسوف وكذلك الكتب التى ألفها نفسه ليعبر بذلك من آرائه الفلسفية . راجع شميد قاموس الفلسفة مادة شوبنهور

(٢) وقد كان لكتابه هذا الذي صدر فى جزأين صدى عظيم فى أوربا حتى اقتناه كل رجل مثقف فى تلك القارة وقد ترجم إلى أهم اللغات

(٣) وهو الفيلسوف Sören Kierkegaard (١٨١٣ — ١٨٥٥م) من الفلاسفة الذين أحدثوا انقلاباً كبيراً فى العقلية المسيحية فى أوربا . كان يرى وجوب خلق مسيحية جديدة على أسس فلسفية حديثة

من أدب الغرب

صفات زوجة

للدون فرنسيسكو دى كفيدو

بقلم الأديب يوسف روشا

هذه رسالة بعث بها « ألدون فرنسيسكو دى كفيدو » فى سنة ١٦٣٣ إلى « ألدونا اينا دي فرنسيسكا » وصيفة ملكة أسبانيا ، ضمنها الصفات التى يود أن تكون عليها زوجته ، إذا ما قدر أن تكون له زوجة . والرسالة مكتوبة بأسلوب ممتع ، فيها شيء كثير من الفكاهة ، ويغلب عليها تلك الروح الشرقية التى قد تكون من بقايا ما خلفه العرب فى الأندلس من الأخلاق والعادات ، بعد أن دالت دولتهم

كل الذى أنشده فى الزوجة — لشرفى وراحة ضميرى — أن تكون قد تثقفت فى رعاية مولاتى ، ونشأت وترعرعت فى خدمتها ، واعتادت طاعتها لتحظى برضاى . أما إذا رأت مولاتى وأصرت على أنى جدير بزوجة أرق من هذه ، فنزولاً على رغبتها وتلبية لطلبها سأحاول فى هذه الرسالة تبيان الصفات التى يجب أن تتحلى بها تلك الزوجة التى قد ينعم الله بها علىّ ، وذلك بواسطة مولاتى ومولاى الأمير . على أنى لا أبغى — علم الله — من وراء ذلك تنوير مولاتى ، بل تسليتها

أما أنا ، فعديم الأهمية ، لولا مولاى الأمير الذى هذبنى وقومنى ونشلنى من الهوة السحيقة التى ترديت فيها . وإذا كنت أتمتع الآن بشيء من الحظوة وسعة العيش ، فذلك لأنى عزفت ، والحمد لله ولمولاى الأمير ، عما كنت عليه سابقاً من الموبقات

لقد كنت شريراً ماكراً ، وبالرغم من أنى قد تركت تلك الصفات الآن ، فإننى لم أصلح كل الصلاح بعد . ذلك لأنى لم أهجر شرورى وآثامى عن ندم وتوبة ، وإنما نبذتها لأنى ضقت ذرعاً بها

أنا رجل من أرومة طيبة فى بلدى كما تعلم مولاتى . وإن لى داراً فى الجبال ، وأنا ابن والدين عزيزين أفخر بهما ، ولهما عندى أطيب الذكر ، على حين أن أعمالى — ولا ريب — تزعجهما وتسبب لهما حزناً عميقاً ...

يصفنى أعدائى بأنى أعرج . وكل ما فى الأمر أنى أبدو كذلك لعدم اهتمامى بنفسى . ولا يستطيع أحد أن يجزم هل أنا أعرجُ أو أحنى ركبتى . ومهما يكن من أمر ، فليراهن من يشاء على عرجى

أما سحنتى ، فلا أقول إنها ترضى من يراها ، ولكنها على كل حال ليست دميمة أو شتيمة إلى درجة تبعث على السخرية أو الاشمئزاز

والآن وقد أتيت على وصف نفسى وكشف النقاب عن وجهى ، أنتقل إلى وصف المرأة التى أرتضيها لنفسى إذا ما منّ الله بها علىّ . على أنى أعترف أنه لولا مشيئة مولاتى ورغبتها الملحة ، لكان من الحمق لمن كان مثلى فى حقارة الشأن وضعة النفس أن يقبل على أمر كهذا ، وليس ثمة امرأة ترضى به بعلاً ... !

أود قبل كل شيء أن تكون زوجتى كريمة المحتد ، عفيفة حصيفة ؛ والصفة الأخيرة لازمة ، إذ لو كانت غبية لما عرفت كيف تحتفظ أو تستفيد من صفتيها الأخريين . ثم إنى أرجو أن تكون دمثة الأخلاق ، خفيفة الروح ، وأن تكون فضائلها فضائل امرأة متزوجة لا ناسكة متقشفة ، لأن الاهتمام بزوجها وبيتها أخلق بها من سماع الوعظ وإقامة الصلاة . أما إذا كانت على شيء من العلم والمعرفة ، فأفضل عليها الغبية ، لأن العيش مع زوجة جاهلة أفضل وأسلم من العيش مع زوجة مغرورة

وأريدها وسطاً لا بشعة ولا جميلة ؛ لأن المرأة الدميمة مصدر خوف وفزع ولا تصلح رفيقة حياة ؛ والمرأة الجميلة تزعج أكثر مما تسر . أما إذا لم يكن بد من أن أختار إحداهما ، فعلىّ بالجميلة ، لأن الهم أهون علىّ من الخوف ، ولأن تكون لى زوجة أحرمها ، أحبُّ إلىّ من أن تكون لى زوجة أفرُّ منها !

ثم إنى أريدها ميسورة لا غنية ولا فقيرة ، فلا هى تشترينى ولا أنا أشتريها ، إذ ليس ثمة فقر ما وجدت العفة والسماحة . إن الثرى الذى يرفض الزواج من امرأة لأنها فقيرة ، لهو غنى سافل ؛ وإن الفقير الذى يخطب امرأة لأنها غنية ، لهو فقير حقير

كذلك أريد زوجة بشوشة لا عبوسة ، لأن العيش مع هذه شقاء

متصل وعذاب مقيم. ثم إني لا أريدها متشائمة تظل قابعة في زاوية من زوايا البيت تنعق كالغراب

ويجب أن تكون حسنة الهندام في غير إسراف، وأن ترتدي ثياباً محتشمة لا تلك التي تخترعها الخليعات من النساء

ويجب ألا تعمل ما يعمله البعض، وإنما تعمل ما يعمله الكل وأفضل الزوجة البخيلة على الزوجة المبذرة؛ ذلك أن التبذير شر يجب الابتعاد عنه، على حين أن البخل، وإن كان ذميماً، قد ينفع في بعض الأحيان. على أني أعد نفسي سعيداً إذا ظفرت بزوجة سخية

لا يهمني أكانت بشرتها بيضاء أم سمراء، أو كان شعرها أسود أم أشقر، وإنما الذي يهمني هو ألا تجمل شعرها أبيض إذا كان أشقر، لأن ذلك يبعث على الغيرة وقد لا تحمد عقباه. ولا يهمني أيضاً أكانت زوجتي طويلة أم قصيرة، لأن في كعب الحذاء تلافيا لهذا النقص الجسمي؛ والكعب كالموت يسوي بين الناس

أما عن كونها هزيلة أو بدينة، فأقول إنه إذا لم أستطع الحصول على زوجة تكون على الأقل معتدلة الجسم فأنا أفضل الهزيلة... أحب أن تكون زوجتي هيكلا عظمياً لا قطعة من الشحم واللحم

ثم أريدها مكتملة الشباب لا طفلة ولا عجوزاً، فالفرق بينهما كالفرق بين المهد واللحد. ذلك لأني قد نسيت من زمان بعيد أناشيد المهد، وأنا لم أتعلم بعد ترتيل المراثي. حسبي أن تكون امرأة ناضجة، وأن تكون حديثة السن فتلك منة من الله

وأود من صميم قلبي ألا يكون فمها وعيناها ويداها على جمال خارق. ذلك أنها إذا بلغت الكمال في هذه الأعضاء لما احتملها أحد؛ لأنها في هذه الحالة لا تنفك تلعب بيديها لتعرضهما على الناس، ولا تني تدير مقلتيها ليلحظهما الناس، ومما يصعب احتماله أن ترى امرأة دائمة الضحك والتثاؤب لا لشيء سوى أن تريك أسنانها اللؤلؤية. إن القلق يذهب بالجمال، وإن الإهمال يخفي العيوب

ولن أتزوج واحدة قد مات عنها أبواها، وذلك لأتخلص من وجوب إحياء ذكريهما؛ كما أني لا أرغب أن يكون كل أهلها أحياء. ليدخل أبوها وأمها بيتي على الرحب والسعة؛ أما عماتها فإلى جهنم وبئس المصير؛ وسأوصي بقراءة الفاتحة على أرواحهن مرة بعد مرة

وسأحمد الله وأشكره إذا ما منحني زوجة ثقيلة السمع، معقودة اللسان؛ ذلك أن هاتين الحاستين كثيراً ما تضجران الأصحاب وتقطعان الزيارات. كما أن من دواعي سروري واغتباطي أن تكون زوجتي سيئة الطبع؛ لأن المرأة الكيسة لا تنفك تضرب على وتيرة واحدة متمنية أن لو كانت كباقي النساء وإن طبيعتها السجيحة هي المسؤولة عما تلاقي من الغبن

وأختم رسالتي هذه جاداً متوخياً الحقيقة كما بدأتها، ومؤكداً لمولاتي أن الزوجة التي تحقق رغباتي هذه ستحظى عندي بأعظم منزلة. على أني أعرف كيف أصبر على بلائها إن هي قلبت لي ظهر المجن. ذلك أني قد لا أكون موفقاً في زواجي، ولكنني لن أكون زوجاً فظاً بحال من الأحوال. أطال الله حياة مولاتي ومولاي الأمير ومتعهما بالصحة والعافية إنه السميع المجيب

ترجمها عن الانجليزية

(بغداد) يوسف روشا

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٩٤١/٩/٢٤ في القضية رقم ٤٨١ سنة ١٩٤١ ضد حماد محمد بائع غاز تبع شركة مانتاشوف من دمنهور بغرامة ٥٠٠ خمسمائة قرش صاغ والنشر على مصاريفه لبيعه غازاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة.

كلمة صريحة

بين الأديبين
المصرى والسورى !
« لكاتب لبنانى »

أفضى الدكتور طه حسين بك إلى بعض الصحف العربية فى سوريا بكلمة يعزو فيها قلّة التفات الأوساط الأدبية فى مصر إلى الأدب السورى الحديث — بما فيه اللبنانى — إلى عدم القيام (بواجب الدعاوة ...) لهذا الأدب . ولا حاجة إلى البيان أن الذين ينبغى أن يقوموا بواجب هذه الدعاوة إنما هم أفراد الجالية السورية اللبنانية فى مصر الشقيقة

ولقد أثارتْ هذه الكلمة بعض الأقلام بالمعارضة وبادّعاء تعذّر القيام بمثل هذه الدعاوة لأسباب لا سبيل الآن إلى ذكرها . وأنا أوثر أن أنقل ميدان هذا الكلام — وما يستتبع — إلى هذه المجلة الغراء لأطلع إخواننا المصريين — فى هذه الكلمة القصيرة — على بعض النواحى المؤثرة تأثيراً مباشراً فى تكييف الحركة الأدبية فى سوريا ولبنان

أما العُذر الذى انتحله الدكتور الفاضل — وهو (واجب الدعاوة ...) — يبتغى به تبرير موقف الأدب المصرى الحديث من أن يقال عنه إنه لا يأبه — أو على الأقل — لا يلتفت الالتفات المطلوب إلى تسجيل ظواهر الحركات الأدبية فى بلادنا ؛ هذا العذر ، لا أظن أن الدكتور نفسه مطمئن إلى صحته ، وإنما يكون أغضى — وأحسبه إغضاء متعمداً — عن حقيقة سأسجلها بعد حين على أدبنا — ولو كانت مُرّةً مؤلمة —

من الوهن فى التفكير أن يقال إن (الدعاوة) التى تقوم بها الجالية المصرية فى بلادنا — إن كان ثمة جالية مصرية تقوم حقاً بالدعاوة — هى التى أشاعت لنا الأدب المصرى الحديث ، وعرّفتنا به ، وحبّبتنا فيه ، فإن الواقع لا يثبت من هذا شيئاً ، إذ لم نر رجلاً مصريًّا فى بلادنا يطرسُ أية كلمة فى نقد كتاب مصرى صدر فى مصر (والنقد ينتظم حسناته وسيئاته) ، ولم نَرَ رجلاً مصريًّا يعرض فى مكاتبنا كتباً صدرت فى بلاده دون أن يطلبها منا طالب ؛ اللهم إلا أن يكون مقتنعاً أنها لن ترد ، وأنها ستحوز الرضى ، وستنفق سوقها ، لما لها من أهمية عظمى وحاجة ماسة ، وطلب ملحاح فى بلادنا السورية واللبنانية ، فاذ ذاك يبعث بها فيعرضها ، وليس هذا من الدعاوة فى شىء ، إذ أن هذه المؤلفات لا تفتقر إلى مثل هذه الدعاوة

لهذا كله تصادف المؤلفات المصرية سوقاً رائجة فى بلادنا

وأما متعهدو المؤلفات عندنا — أو المؤلفون أنفسهم — فإنهم لا يجدون ميلاً إلى إرسال مؤلفاتهم لعرضها فى الأسواق المصرية خاصة ، لأنهم مقتنعون أنها لن تحوز الرضى ولن تنفق سوقها ، فيكون هذا داعيهم إلى الاجتزاء بعرضها فى أسواقنا ، وحسبهم ذلك

فالدعاوة التى ينيط الدكتور الفاضل بها رواج المؤلفات ، ليس لها من التأثير أى قسط .

فلماذا إذن تصادف المؤلفات المصرية ، وبالجملة الأدب المصرى جواً مواتياً فى مصر نفسها قبل سوريا ؟ ولماذا لا يصادف الأدب السورى هذا الجو نفسه فى سوريا بَلْه مصر ؟

أجل ! لماذا يأنس قراؤنا — نحن السوريين — صَبْوَةً إلى قراءة المؤلفات المصرية تفوق ميلهم إلى قراءة الكتب السورية حتى إنك لترى الكتب المصرية تحتل المركز الأول فى أسواقنا ؟

هذه أسئلة تتطلب أجوبتها صراحة وصدقاً لا تحامُل فيهما على جانب ، ولا إشادة فيهما ولا إطراء لجانب آخر !

من الحق ألا يعترف المرء أن من أسباب ذلك أن النتاج المصرى أكثر فائدة وأكبر قسطاً فى التفكير الحى ، وأكثر طلاوة فى الأسلوب ، وأوفر جمالاً فى ابتداع المعانى وخلق الطرائف ، وأرهف إحساساً فى تصوير العاطفة ؛ وبالجملة : أن النتاج المصرى أكثر نضوجاً . وهذه الظاهرة لا تخفى على أحد ، ولا يحاول أن يبخس من حقها أحد ، فمصر زعيمة البلاد العربية غير مُدافَعَة فى مضمار النتاج الأدبى بكل ما ينتظم من فروع ؛ وإن تكن مصر زعيمة البلاد العربية فى الأدب ، فليس بضائرها أن تلتفت إلى الحركات الأخرى . بيد أن الذى لا شك فى أنه السبب الأساسى فى رواج الأدب المصرى ، وفى كساد السورى — إلى حد — هو أن نتاج السوريين ضئيل ، لا يقاس وفرة نتاج المصريين وضخامته وغزارته

وآية ذلك أن أي أديب مصري شهير — في عرف المصريين والسوريين على السواء — لا تقل مؤلفاته عن العشرة . وأكثر هؤلاء الأدباء تربو مؤلفاتهم على ذلك بكثير أو قليل . وأنا إذا قلنا (أديب شهير) فإنما أعني أن مؤلفاته لا تجنح إلى الاسفاف أو الضعف ، ولا تميل إلى التعقيد والغموض . وبجملة واحدة أن مؤلفاته معروفة مفيدة قيمة . ومن الطبيعي أن يقوّم الأديب بعدد كتبه القيمة ...

ولكننا نرى في أدبنا ، أن أي أديب سوري شهير — في عُرف السوريين فحسب (ولم أشفع معهم المصريين لقلة اطلاعهم ونقص معرفتهم في هذا المضمار) — لا تربو مؤلفاته عن الخمسة ، وأكثر هؤلاء الأدباء تقل مؤلفاتهم عن ذلك بكثير أو قليل

قد يتجه[1] للقارىء هنا أنه قد يكون غرب عن بالي أمر المؤثرات في البيئات ، وهذا أمر له قيمته وشأنه . ولكنك إذا استقرأت جميع المؤثرات في الأدب ، وقارنتها بين الأدبيين فإنك تراها تختلف اختلافاً يسيراً ليس من شأنه أن يؤثر هذا التأثير العظيم في النتاج الأدبي لكل من البلدين . فالوسط الذي يعيش فيه كلا الأديبين يكاد يكون واحداً ، والمجتمع كذلك باعتبار أنه مجتمع عربي آماله واحدة ، وغايته واحدة ، يتكلم لغة واحدة ، والغالب فيه يدين بدين واحد ، وتحكمه حكومة واحدة ... الخ . وأما البيئة الطبيعية فتختلف كثيراً بين جو مصر الثابت ، وبين جو سوريا المتبدل المتغير بحسب الفصول ؛ وأنا أرى أن التبدل الجوي في سوريا هو في صالح فكر أدبائها ؛ لأنه دائماً يتلون بلونه ويتأثر أكبر الأثر به ؛ فجو مصر الثابت يورث العقل المصري جواً ثابتاً فلا يتغير التفكير إلا بقدر . وأما جو سوريا المتبدل فيورث العقل جواً متبدلاً يعد هذا التفكير بأسباب الاضطراب الدائم ، والحركة المختلفة ، فيتمخض عن ألوان من التفكير كثيرة ، وضروب من العاطفة وفيرة[2]

والآن أعود — بعد أن كاد القلم يشط — إلى تعليل سبب هذا البون الشاسع في النتاج الأدبي

إن الأدباء المصريين لا يألون جهداً ، ولا يدخرون قوة في الكتابة ، بل يدأبون على امتصاص مداد القلم ، وعلى ترشف ماء معانيه ، فيكتبون ويكتبون ولا ينصبون ، وينهال عليهم الإطراء والتشجيع فيزدادون ... أجل إنهم يزدادون ... وهذه الحركة الدائبة في الكتابة تفسح أمامهم طرقاً واسعة لاحبة في التفكير ، وتحسر لأعينهم عن مجال جمة فينظرون ويتأملون ، وينهلون كأنهم لا يرتوون

وهم يحسون — إذا ما اضطرتهم ظروف قاسية إلى الانصراف عن الكتابة — بضيق شديد يبرمهم ويؤلمهم ، ويستشعرون حنيناً مشبوباً إلى « العودة إلى الروض ... »

لهذا كله ، أضحى نتاجهم الأدبي ضخماً غزيراً لا ينضب معينه ، ولا يجف مداده

وأما الأدباء السوريون واللبنانيون فهم على عكس ذلك ، وهذه هي الحقيقة المؤلمة

إن حقوق الصراحة لتوجب علينا القول : إن الأديب السوري الذي يقرزم[1] يعتقد أنه أصبح شاعراً أعظم ... وإن الأديب الذي كتب مقالة نالت بعض الإعجاب يثق بأنه أضحى المفكر الذي لا يجارى ، وإن الأديب الذي أصدر قصة أو قصتين يوقن بأنه أمسى القصصي الذي لا يبارى

ولكن من الحق كذلك أن نسجل أن في سوريا ولبنان أدباء وعظماء يجود قرائحهم — إنما طابوا نفساً بالكتابة — يدرر بينة وآيات رائعات ، ولكنهم — مع الأسف ، والأسف الشديد — يجودون بمقال واحد في السنة ، ويصدرون كتاباً واحداً في العشر سنين !

إن هذا الانقطاع عن الكتابة من شأنه أن يخمد حيوية الفكر ، ويميت قوى التأمل والنظر إلى بعيد ، ويقضي على شبوب العاطفة .

أنا لا أدعي أن ليس في الأدب السوري شيء قيم ، فماذا الله أن يكون ذلك ؛ بل أقول إن الذي يصدر كتاباً قيماً واحداً لا حاجة له بعد الآن إلى إجهاد نفسه وإتعابها . فقد سلس له قياد الفكر السامي . فليخلد إلى الراحة ، وليركن إلى برجه العاجي ، ولينسك ما طاب له في منسكه . ألم يطر عليه كافة القراء ؟ أولم تتشوف إليه كافة المجلات ...

الحق الذي لا مناص من إثباته هو أن الغرور والزهو والتكبر — تتملك كلها — أكثر أدبائنا ؛ فينتجون هذا الإنتاج الضئيل .

إن كتاباً واحداً تصدرونه — أيها الأدباء قاطبة — لا قيمة له مهما جل فيه من فكر وسما ما يحوي من آراء

ماذا أفدت أيها الأديب (الساحر ..) الذي يدعي أنه يزجي

(١) يتجه : يسنح (٢) هذه بعض المؤثرات وليست كلها

(١) يتعدى بقول الشعر

إلى إمام الأزهر

العقائد الوثنية
في الكتب الأزهرية
للأستاذ محمود أبو رية

هذه كلمة خالصة نرجو أن تبلغ مسامع الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وأن تصيب مكان العناية منه فينهض بما أوتى من علم واسع وعزم قوى إلى العمل على تخليص العقائد الدينية من نزعات الوثنية ، وتحرير العقول من رق التقاليد الخرافية ، حتى تصبح هذه العقائد سالمة خالصة ، وتنطلق العقول والأفكار إلى العمل على كل ما يعود عليها بالنفع والخير . وإنه إن يفعل ذلك يكون قد أقام الأصل الأول للدين الإسلامى وهو التوحيد الخالص ، الذى هو (كمال الإنسان) كما قال أستاذنا الإمام محمد عبده ، ووضع أساس الإصلاح فى بلادنا إذ لا يقوم أى إصلاح فى أى مرفق من مرافق الحياة إلا بعد تطهير العقائد وتحرير العقول . ذلك بأن العقائد الفاسدة كما لا يخفى تأخذ بأيدى معتقديها وأرجلهم ، وتغل عقولهم عن التفكير الصحيح ، وتصيب عزائمهم بالشلل الاجتماعى ، فلا يعملون فى الحياة ولا يُعدون لها عدتها . وأنى لهم العمل وقد (رموا الحول ...) على ما اتخذوهم أولياء بزعمهم فاستيقنوا أنهم يقضون حاجاتهم ويجيبون دعواتهم

وإن الذى جعل العقائد الوثنية تفشو ولا ريب بين المسلمين هم أكثر شيوخ الأزهر بما يبثونه فى فتاواهم وأحاديثهم ودروسهم ومجلاتهم ، ولولاهم لما وجدت الوثنية سبيلاً إلى عقائد المسلمين ، ذلك بأنك ترى الرجل من دجاجلة الصوفية يدس عقائد الشرك بين من يسميهم مريديه ، ويعبث ما شاء له الجهل أن يعبث بعقول هذه الطوائف الساذجة ، فإذا التفت إلى الشيخ الأزهرى ، وهو الذى يرجى منه أن يعمد إلى ما يبنيه هـذا الرجل الصوفى فيأتى عليه من القواعد ، لتنظر ماذا يصنع إزاء ذلك وجدته يناصر هذا الدجال ويؤيده ؛ وقد بلغ من بعضهم أن يمشى فى ركابه ويدعو الناس إلى احترامه وإجلاله فيقول : إن العلم علمان : علم الظاهر وهو لنا ، وعلم البـاطن الذى هو علم الحقيقة وقد فاز به شيوخ الصوفية . وبذلك يصبح هذا الرجل المجهول قطب وقته وولى عصره

ولقد كنت يوماً أناقش أحد شيوخ الأزهر فيما يصنعه هو وأمثاله من العمل على إشاعة العقائد الوثنية بين المسلمين ، فكان مما أجاب به : إن هذه الأمور قد درسناها على شيوخنا فى الأزهر علماً وأخذناها عنهم عملاً ، وهى ثابتة فى الكتب الأزهرية . وقد

الوقت كله فى مطالعة المؤلفات القيمة وهو لم يصدر — مدى حياته الأدبية الطويلة — إلا كتابين أو ثلاثة ! !

وأنت ماذا جنيت أيها الشاعر الذى يقول إنه لا يرتاح ثانية من تصفح دواوين كبار الشعراء وهو لم يطلع الناس إلا على مقطوعات صغيرة ، هيهات أن تتجمع ديواناً ؟ !

وأنت أيها القاص الذى لم يصدر إلا كتاباً واحداً لم يحو أكثر من عشر قصص ، أكل ما وقع عليه بصرك من صور حية ، ومناظر جمة تثير الفكر ، وتمده بالحيـوية مثبت فى كتابك ذاك ؟ !

وأما أنت أيها الناسك المفكر ، فأفق مما أنت فيه ، واطفِ شمعتك الصغيرة التى لا تومض إلا ومضاً ، واخرج إلى الحياة ، إلى الشمس النيِّرة ... اخرج إليها بجسمك وعقلك وروحك وقلبك ، فإن لك فيها متسعاً !

لقد غزانا المؤلفون المصريون بمؤلفاتهم ، وأثبتوها إثباتاً فى بلادنا ، فتقبلناها شاكرين ، ومَجَنّا على مطالعتها متهافتين . وذلك لأنها وافرة ، لأنها غزيرة ، ولأن فى هذه الغزارة قيمة عالية .

ولم نستطع غزو مصر — حتى ولا غزو أنفسنا (إذا أردنا المبالغة) — بمؤلفاتنا ، ولم يتقبلها المصريون لأنها نادرة ، لأنها قليلة جداً ، ولأن فى هذه القلة قيمة ضئيلة

كلا ! ليست « الدعاوة » التى قصرنا فيها هى السبب فى قلة التفاتهم إلينا ، وليست « الدعاوة » التى أوفوها حقها هى السبب فى تهافتنا على أدبهم !

لا يمضى الشهر المصرى دون أن نسمع أن كتابين أو ثلاثة قد صدرت ، وتمضى السنة السورية واللبنانية — بل السنون — دون أن نسمع أن كتاباً واحداً قد صدر !

إنها كلمة صريحة آمل أن تنبت فيقرأها أدباؤنا ... على الجد يستحثهم ، ويحققون ما يدعون بأن نهضة كبرى تترعرع فى بلادنا .

(بيروت) « كاتب لبنانى »

قرر شيخنا الدردير في الخريدة أن من لا شيخ له فشيخه الشيطان . وقال إمامنا البيجوري في حاشيته على الجوهرة : إن الله تعالى يوكل ملكا على قبر الولى يقضى حوائج الناس . فنحن لا نقول إلا عن علم ولا نفتى إلا بدليل . ثم التفت إلى متعجباً وقال : كأنك لم تقرأ ما ينشر كل يوم فى المجلات الدينية من الفتاوى الدجوية ، وآخرها فتوى فائدة الأربعاء القناوية . أو كأنك لم تطلع على القصيدة الصدفية فى الاستغاثة بالحضرة الأحمدية البدوية التى نشرت بمجلة الرسالة الغراء ! ألا فادرس العلم الصحيح فى مصادره ، وارجع إن أردت المزيد إلى ما أثبته الشيخان (الأكبران) الشرقاوى والبيجورى وهما ممن بلغوا درجة الإمامة وتولوا مشيخة الأزهر لترى كيف يكون علم العلماء المحققين . فغادرته ورجعت إلى هذه الكتب التى ذكرها لأرى ما فيها ، وما كدت أعبر بعض صفحاتها حتى تلقانى علم زاخر وجدت أن لا قبل لى بملاقاة أمواجه ، فقفلت راجعاً وقلت اللهم إن السلام فى الساحل

أما الكتاب الأول فهو شرح الخريدة البهية (للقطب الكامل والغوث الواصل أبى البركات سيدى أحمد الدردير)

قال هذا القطب بعد أن ذكر من العقائد ما شاء له علمه : إن على كل مسلم « اتباع شيخ عارف قد سلك طريق أهل الله على يد شيخ كذلك إلى أن ينتهى إلى رسول الله » ، ثم قال : «ومن لا شيخ له فشيخه الشيطان . وبعد ذلك أوجب على المسلمين تقليد الأئمة الذين ذكرهم اللقانى فى الجوهرة بقوله :

ومالك وسائر الأئمة ... كذا أبو القاسم هداة الأمة
فواجب تقليد حبر منهم ... كذا حكى القوم بلفظ يفهم

على أن المسلم لا يدرى ماذا يأخذ وماذا يدع فى هذا الأمر وهو يجد فى كتب العلم مع هذا القول قولا آخر هو :

ألا كل من لا يقتدى بأئمة ... فقسمته ضيزى عن الحق خارجة
فخذهم عبيد الله عروة قاسم ... سعيد سليمان أبو بكر خارجة

على أنا لا نعرض لذلك حتى لا نتحول عن تيار الحديث

ولما فرغ من وجوب تقليد الأئمة الأربعة قال باتباع أبى القاسم الجنيد ومن تبعه ، لأن من عداهم « من جميع الفرق على ضلال » ، ثم قال إن تمام النعمة فى اتباع الأقطاب الربانيين أسياده أحمد الرفاعى وعبد القادر الجيلانى وأحمد البدوى وإبراهيم الدسوقى وأبو الحسن الشاذلى ومحمد الخلوتى وعبد الله النقشبندى وأتباعهم « فهؤلاء كلهم سادات الأمة المحمدية »

وقد جاء الشيخ (المحشى) وهو (العلامة الكبير والفهامة النحرير سيدى أحمد الصاوى) فترجم لهؤلاء الأقطاب الربانيين وذكر مناقبهم . وقد أورد من مناقب الرفاعى أنه (أراد شراء بستان فأبى صاحبه ألا يبيعه إلا بقصر فى الجنة) ، فقال له : (قد اشتريت منك بذلك) وكتب له عقداً هذه صورته : (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما ابتاع إسماعيل من العبد أحمد الرفاعى ضامناً على كرم الله قصراً فى الجنة يحف به حدود : الأول لجنة عدن ؛ الثانى لجنة المأوى ؛ الثالث لجنة الخلد ؛ الرابع لجنة الفردوس ، بجميع حوره وولدانه وفرشه وأشربته وأنهاره وأشجاره عوضاً عن بستانه فى الدنيا ، والله شاهد على ذلك وكفيل) فلما مات إسماعيل دفن معه العقد فأصبحوا وإذا مكتوب على قبره « قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً »

ونقل من كرامات السيد البدوى أن ابن دقيق العيد اجتمع به فقال له إنك لا تصلى ، ما هذا سَنَن الصالحين . فقال له اسكت وإلا طيرت دقيقك ، ودفعه فإذا هو بجزيرة متسعة جداً ، فضاق ذرعه حتى كاد يهلك ، فرآه الخضر فقال له لا بأس عليك ، إن مثل البدوى لا يعترض عليه . إذهب إلى هذه القبة وقف ببابها فإنه سيأتيك العصر يصلى بالناس فتعلق بأذياله لعل أن يعفو عنك ، ففعل فدفعه فإذا هو ببابه

وساق من كرامات الدسوقى أنه يعرف جميع اللغات حتى لغات الوحش والطير ، وأنه صام فى المهد ، ورأى اللوح المحفوظ وهو ابن سبع سنين ، وأنه ينقل اسم مريديه من الشقاوة إلى السعادة . ومن أراد أن يستزيد من معرفة مناقب هؤلاء الأبطال فليرجع إلى هذه الرسالة فإن فيها العجب العجاب

أما الكتاب الثانى فهو حاشية الشيخ الباجورى على شرح ابن قاسم وقد جاء فى باب الجنائز ما يلى :

لو شاهدنا الملائكة تغسله (الميت) لم يسقط عنا « ولو غسل الميت نفسه كرامة كفى كما وقع لسيدى أحمد البدوى أمدنا الله من مدده »

والكتاب الثالث هو حاشية الشيخ الشرقاوى على متن التحرير لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى وقد قال فى باب الجنائز

عَبْرَ كـــذا . . .

للأستاذ الكبير « ا . ع »

يذكر القارئ أنى كنت قد كتبت بحثاً فى العدد ٤٢٤ من (الرسالة) أخطئُ فيه ما شاع فى أقلام الكتاب من استعمالهم « عَبْرَ » – مصدر عَبَرَه – ظرفاً ، مسايرين الترجمة الخاطئة للكلمة Acrooss الإنجليزية

وقد سقت للتوضيح ثلاثة أمثلة مما تستعمله الصحف والمجلات كل يوم . وسأعرض هذه الأمثلة مرة ثانية ، وأبسط الموضوع بسطاً ، وأضمّنه مقتبسات من كلامى وكلام مُناظرى مما يدور عليه البحث بينى وبينه ؛ حتى يعيه من القراء من لم يكن تتبعه منذ البداءة — وهذه هى الأمثلة :

١ — ومن زمن قريب ادعت اليابان لنفسها حق صدور قواتها « عَبْرَ » شمال الهند الصينية

٢ — وسنواصل كل شهر قذف ... بالقنابل الشديدة الانفجار ، كما فرغت مصانعنا من إخراج طائراتنا الضخمة ، أو جاءت إلى هنا « عَبْرَ » الأطلنطى

٣ — لهذا وصلوا بين باكو وباطوم « عَبْرَ » القوقاز بأنابيب

فردّ علىّ الأستاذ الفاضل محمد محمود رضوان فى العدد ٤٣٢ من (الرسالة) بأن هذه الكلمة قد جاءت فى بيت لسواد بن قارب هو :

فشمرت عن ذيلى الإزار وأرقلت
بىَ الدعلب الوجناء عُبْرَ السباسب[1]

ثم قال : ومن ثم يرى الأستاذ الكبير أن الكلمة صحيحة كما يستعملها الكتاب على عهدنا

وقال : ولو أردنا تخريج الكلمة على وجه صحيح لوجدنا أكثر من وجه ، خلافاً لما يقول الأستاذ : « وأقرب هذه الوجوه عندى أن تكون « عبر » مصدراً مراداً به اسم الفاعل ، فتكون حالاً مما قبلها » ؛ ويكون التقدير : « صدور قواتها عابرة شمال الهند الخ » ، « أو جاءت إلى هنا عابرة الأطلنطى »[2]

فأنت ترى أنه فى عبارته هذه قد أعرب فى صراحة « عبر » حالاً فعقّبت عليه فى العدد ٤٣٣ بأن المصدر لا يقع حالاً إلا إذا كان نكرة[3] و « عبر » فى الأمثلة التى أتيت بها — وفى غيرها مما تلوكه الصحف كل يوم — معرفة بالإضافة ، فلا تصلح

(١) لى إلى هذا البيت عودة بمناسبة ما جد للأستاذ فيه من تأويل لكلمة « عبر » ، فلا أتعرض له هنا

(٢) أرجو أن يرجع القارئ إلى هذه العبارة مرة بعد أخرى فى أثناء تلاوته لهذا المقال ؛ فإن عليها مدار معظم هذا البحث

(٣) راجع ما قاله النحاة فى هذا الموضوع ، وإن شئت فارجع إلى شروح ألفية بن مالك وحواشيها عند قوله :

ومصدر منكر حالا يقع بكثرة كبغتة زيد طلع

أيضاً : « ولو شاهدنا الملائكة يغسلونه (الميت) لم يسقط عنا الطلب بخلاف مالو كفنوه » إلى أن قال : ولو غسل الميت نفسه كرامة كما نقل عن سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه ، وكذا عن سيدى عبدالله المنوفى المالكى كفى لأنه من جنس المكلفين . وكذا لو غسل ميت ميتاً آخر كرامة »

نكتفى بهذا خشية الإطالة ، ونعرضه عرضاً بغير مناقشة ولا بحث يقرأه الناس ، ويطلع عليه إمام الأزهر ، وهو القيم على علوم الدين فى هذه البلاد والمسموعُ الكلمة بين أرجاء العالم الإسلامى ، وكل ما نرجوه أن يوجه عنايته الجبارة إلى الإصلاح الصحيح لعلوم الأزهر ، وذلك بإصلاح الكتب الدينية التى تدرس فيه ، وبخاصة كتب العقائد منها ، وأن يقوم العمل على الأخذ بها والدعوة على ما جاء بها ، فلا يعبد الطاغوت فى هذا البلد من دون الله ، ومن لا يدين بها ويؤمن بأصولها يحال بينه وبين التصدى للدعوة إلى الدين ، لأن العالم أو الواعظ إذا لم يكن سالم العقيدة خالص التوحيد ، فإنه يكون أضر على الأمة من الجاهل

هذا ما نرجوه من شيخنا الأكبر ، حتى يكون المسلم مستحقاً لوراثة الأرض بصلاح ، فيأخذ أمور الحياة بأسبابها ، ويستغلها بتسخير نواميسها ، ويتبع سنن من يعاصرنا من الأمم الراقية شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، ليتبوأ مكانه اللائق به من العزة والسلطان .

نفزع إلى شيخنا الأكبر فى ذلك ، ونحن نعلم أنه ليس له غيره ، فهو المسئول عن حماية العقائد الدينية فى هذه البلاد من عبث الجاهلين ، وقد تهيأ له من أسباب إنفاذ الإصلاح ما لم يتهيأ لمن سبقه من الأئمة المصلحين ، فلا عذر اليوم

« المنصورة » محمود أبو رية

أن تكون حالاً ؛ ثم جئت بعدة أمثلة مما يستشهد به النحويون لضرورة تنكير المصدر إذا وقع حالاً ؛ وقلت أيضاً : إن وقوع المصدر المعرف حالاً نادر جداً ، ولا يكون إلا في صورتين يمثل لهما بمثالين هما : جاءت الخيل بَدادِ ، وأرسلها العِراكَ[1]

ولكن الأستاذ لم يُرِد أن يعترف بأنه قال ما قال — وهو ماخطّته يمينه صريحاً كما مرّ — فجاء في العدد ٤٣٥ يقول ما نصه :

وأقول : إن الأستاذ لم يتبين رأيي على وجهه الصحيح ؛ إذ توهم أني أرى « عبراً » مصدراً أريد به الحال [تأمل] ، ولم أقل هذا [تأمل] ، وإنما قلت : إنه مصدر وضع موضع اسم الفاعل ، فهو عبر بمعنى عابر ، كما في قوله تعالى : « إن أصبح ماؤكم غورا » ؛ ورجل عدل : أي عادل !

أقول : ما على القارئ إلا أن يرجع إلى عبارته ، فهي من الوضوح والسلامة والإيجاز بحيث لا توقع في وهم أو ضلال .

ثم نرى الأستاذ بعد ذلك يعود فيؤكد إنكاره لما قال ، ويتسرّب من هذا الإنكار — في شيء من الالتواء — إلى إجازة إعراب « عبر » حالاً ؛ إذ هذا المصدر — كما يقول — سيفقد تعريفه بعد التقدير ... الخ[2]

وإني واضع عبارته كلها أمام القارئ ، مراعاة للدقة ، وسوقاً للحجاج على وجهه الصحيح ، قال :

(فأنت ترى أني لم أنص على أن كلمة « عبر حال » حتى يشترط تنكيرها ، وإنما نصصت على أنها مصدر بمعنى فاعل [تأمل] . وكونها « حالاً » أمر اقتضاه سياق الكلام في الجمل التي ساقها الأستاذ . وساعد عليه أن المصدر سيفقد تعريفه بعد التقدير . وسيصير المضاف إليه مفعولاً ، وذلك في قولك : « عابرة الأطلنطي » ؛ فليس ثم ما يمنع من أن يكون المصدر « حالاً » بعد أن فقد تعريفه)

أقول : إن المثال[3] — وهو موضوع البحث والمناقشة — غير صحيح ؛ إذ لا يعرف في العربية مصدر معرف يقع حالاً إلا في صورتين أو صور قليلة شاذة — فلا يمكن أن يتلمس له من « التقدير » ما به يخرج عن فساده المتأصل

ألا إن الموضوع من الخطورة بحيث لا ينبغي أن يُرمى فيه الكلام على عواهنه

بقيت مسألة ليست محل نزاع بيني وبين الأستاذ ، وهي ما أشار إليها بقوله : (فقد أصبحت القضية الآن : هل يشترط تنكير المصدر إذا وقع موقع اسم الفاعل ، بصرف النظر عن كونه حالاً أو غير حال ؟)

وللإجابة عن هذا أقول : يحسن أن يرجع الأستاذ مرة ثانية إلى ما جاء في العدد ٤٣٣ ، فقد قلت فيه : (يكفي في الرد على هذا أن أذكر الأستاذ أنه من المقرر أن المصدر قد يقع حالاً « إذا كان نكرة » . فالتنكير شرط ، نحو ... الخ)

(فأنت ترى أني قصرت كلامي على « المصدر الواقع حالاً » ولم أتعرض لغيره ، فلا محل هنا لهذا الاستفهام

وليس كذلك بيني وبينه خلاف في المصدر قد يقع في موضع اسم الفاعل ، ولا في أن اسم الفاعل قد يقع في موضع المصدر

وبعد فقد آن لي أن أختم هذه الكلمة ، بعد أن أفرغت الوسع في المقابلة بين كلام مناظري وكلامي . وإلى القراء أحتكم والله ولي التوفيق

(ا . ح)

(١) يقول ابن هشام : إن « وحده » في « جاء زيد وحده » من المصادر المعرفة التي وقعت حالا نادراً

(٢) لقد اضطره إلى هذه المحاولة أنه عاد فأدرك خطاه في إعراب « عبر » حالا [أي من غير هذا التأويل] راجع قوله : ولو أردنا تخريج الكلمة ... الخ

(٣) أي في قولهم « عبر الأطلانطي » أو نحوه مما غلطوا فأعربوا فيه (عبر) حالا

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٩٤١/٩/٢٤ في القضية رقم ٤٩٢ سنة ١٩٤١ ضد أحمد عبد الله فايد فلاح بكفر داود مركز كوم حمادة بالحبس شهرين بالشغل والنشر على مصاريفه لبيعه ذرة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة .

فضل الصفر على المدنية

للأستاذ قدري حافظ طوقان

قد يعجب القارىء الكريم من هذا العنوان . وقد يتبادر إلى ذهنه أسئلة عديدة : ما علاقة الصفر بالمدنية ؟ وهل للصفر قيمة ليكون له أثر في تقدم المدنية ؟ أليس الصفر صفراً يعني الفراغ والعدم ؟ إذن فكيف يوضع هذا العنوان ويصرف له بعض الاهتمام ؟

ولكن مهلا ... لقد فكرنا في هذا الموضوع ، ورجعنا إلى الكتب الرياضية وغير الرياضية ، فتبين لنا أن للصفر خصائص وأفضالا . وما يكون لنا أن نقتحم هذا الموضوع لولا أن البحث قادنا إلى ذلك . وفي هذا المقال سنحاول تبيان الفوائد التي تجنيها المدنية من الصفر ، كما سنأتي على التسهيلات التي قدمها للبحوث الرياضية وغير الرياضية ، والتي لولاها لما تقدمت العلوم الرياضية تقدمها المشهود ، ولما استطاع العلماء أن يتقدموا بالجبر خطوات واسعة ، وبالتالي لما استطاعوا أن يتقدموا بالتي تعتمد على الرياضيات في كثير من مباحثها كالفيزياء والفلك والكيمياء .

نبذة تاريخية:

وقبل ذكر شيء عن الصفر وخصائصه وفوائده نرى أن نذكر أولاً نبذة عن تاريخ الترقيم واستعمال الصفر . إن النظام الذي نتبعه الآن في الترقيم مبنيّ على أساس القيم الوضعية ، وبواسطته يمكن ترقيم جميع الأعداد وإجراء الأعمال الحسابية بسهولة كبيرة . ولقد بقيت الأمم في القرون الخالية كالمصريين والبابليين واليونانيين وغيرهم محرومة من هذا النظام ؛ وكانوا يجدون صعوبة في إجراء الأعمال الحسابية ، حتى أن عمليتي الضرب والقسمة كانتا تقتضيان جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً . ولو قدّر لأحد علماء اليونان من الرياضيين أن يبعث فقد يعجب من كل شيء ؛ ولكن عجبه يكون على أشده ، إذ يرى أن أكثر سكان الأقطار في أوربا وأمريكا يتقنون عمليتي الضرب والقسمة ويجرونها بسرعة وبدون عناء

ولما نهض العرب نهضتهم العجيبة ودوّخوا أكثر أقطار المعمورة ، اتصلوا بالهند فاقتبسوا فيما اقتبسوه منها الأرقام الهندية وقد قدروا النظام الترقيمي عندهم « عند الهنود » ففضلوه على حساب الجمل الذي كانوا يستعملونه قبلاً . ومن الغريب أن في بلاد الهند أشكالاً متنوعة ومختلفة للأرقام ؛ ولكن العرب بعد أن اطلعوا على أكثر هذه الأشكال كونوا منها سلسلتين عرفت إحداها باسم « الأرقام الهندية » وعرفت الثانية باسم « الأرقام الغبارية » . ففي بغداد والجانب الشرقي من العالم الإسلامي عم استعمال الأولى أي الأرقام الهندية ، وهي التي لا تزال شائعة ومستعملة في بلادنا . وشاع استعمال الثانية ، أي الأرقام الغبارية في القسم الغربي — في الأندلس وأفريقيا والمغرب الأقصى — وهذه الأرقام هي المستعملة الآن في أوربا والمعروفة باسم الأرقام العربية Arabic Numerals ولم يتمكن الأوربيون من استعمال هذه الأرقام في الأعمال الحسابية إلا بعد انقضاء قرون عديدة من اطلاعهم عليها ، أي أنه لم يعم استعمالها في أوربا والعالم إلا بعد انتهاء القرن السادس عشر للميلاد

ولم يفطن أحد قبل الهنود إلى استعمال « الصفر » في المنازل الخالية من الأرقام ؛ وقد أطلقوا عليها لفظة «سونيا» ومعناها « فراغ » واستعملوا النقطة (.) لعلامة للصفر ؛ وقد أخذها العرب عنهم واستعملوها في معاملاتهم . ويقال إن الهنود لم يلبثوا أن عدلوا عن استعمال النقطة وأخذوا يكتبون الصفر بصورة دائرة

فوائد الصفر

مما لا جدال فيه أن نظام الترقيم الذي نعرفه والمنتشر بين أكثر أمم الأرض هو من المخترعات الأساسية القيمة ذات الفوائد الجلّى التي توصل إليها العقل البشري ، وهذا النظام لم ينحصر — كما لا يخفى — في تسهيل الترقيم وحده ، بل تعداه إلى تسهيل جميع أعمال الحساب . ولولاه لما رأينا سهولة في الأعمال الحسابية ، ولاحتاج المرء إلى استعمال طرق عويصة وملتوية لإجراء الضرب والقسمة . ومما لا شك فيه أيضاً أنه لولا الصفر واستعماله في الترقيم لما فاقت الأرقام العربية والهندية غيرها من الأرقام ، ولما كان لها أية ميزة ، بل لما فضلتهما الأمم المختلفة على الأنظمة الأخرى المستعملة في الترقيم . والنظام المستعمل والشائع الآن يقضي بجعل قيمة الرقم تتغير بتغير منزلته ، أي أنهم أوجدوا منازل للأرقام تكسب الرقم الواحد قيماً مختلفة إذا نقل

من منزلة إلى أخرى ؛ فالرقم الذى على اليمين يدل على الآحاد ، والذى يليه على العشرات ، والذى يليه على المئات ، وهكذا . . . وإذا أردنا أن نكتب العدد (ثلاثة وأربعين) فإننا نضع الثلاثة فى المنزلة الأولى ، أى منزلة الآحاد والأربعة فى المنزلة الثانية ، أى منزلة العشرات . وهنا نجد أن الثلاثة دفعت الأربعة إلى المنزلة الثانية إلى اليسار وأعطتها قيمة الأربعين . ولكن إذا أردنا أن نكتب بالرقم العدد (أربعين) فمعنى ذلك أنه علينا أن نجد رقماً يدفع الأربعة إلى المنزلة الثانية إلى اليسار . وبذات الوقت لا يزيد فى المجموع شيئاً ، ومن هنا استعمل الصفر ووضع علماء الهند علامة لتملأ المرتبة الخالية ، فجاءت مكملة لطريقة كتابة الأعداد بالأرقام

وللصفر فوائد أخرى هى من عظيم الشأن فى مكان عظيم لا يقل خطرها عن التى ألمعنا إليها ؛ فلولاها لما استطعنا أن نحل كثيراً من المعادلات الرياضية من مختلف الدرجات بالسهولة التى نحلها بها الآن . ويمكن القول بأن الرسم البيانى لم يتقدم خطواته الواسعة إلا باستعمال الصفر . والرسم البيانى من أهم البحوث الرياضية ، وعليه ترتكز الهندسة التحليلية ، وحلول كثير من المعادلات الصعبة ، بل هو الركن الأساسى للموضوعات التى تحتاج إلى استعمال علم الإحصاء . وهل تقدمت المثلثات تقدمها المعروف إلا بمعادلاتها ؟ ! وهل يستطيع الرياضى أن يتقدم خطوة فى حلها إلا إذا استعمل إشارة (الصفر) ؟ !

قد يدهش القارئ إذا قلنا إن حساب التمام والتفاضل لا يستغنى فى بحوثه عن استعمال الصفر ، بل إن الصفر عامل مهم جداً فى تسهيل حل كثير من مسائله العويصة الصعبة . وعلى كل حال يمكن القول بأن (الصفر) ضرورى ولازم فى البحوث الرياضية الحديثة والعالية ، إذ جعل كثيراً من الأوضاع والمعادلات قابلة للحل غير ملتوية المسالك يمكن الأخذ بها والاستفادة منها ، واستعمالها فى فروع المعرفة من فلك وطبيعة وكيمياء وهندسة وما يتعلق بهذه من صناعة وفن

علاقة الصفر بالمدنية

ألا تشاركنى أيها القارئ فى الإعجاب بالأرقام التى نستعملها ويستعملها الأوربيون وبالنظام الذى يستولى عليها ؟ أليس عجيباً ومثيراً للدهشة ألا تجد أقل صعوبة فى كتابة أى عدد شئت — مهما كان كبيراً — من أرقام لا يتجاوز عددها عدد الأصابع ؟ ألا ترى معى أن هذه الأرقام العجيبة قد سهلت الأعمال الحسابية كثيراً ؟ ! ألا تعتقد أنه لولاها لما تقدمت المعاملات التجارية تقدمها الحاضر ، ولولاها أيضاً لوجدنا صعوبة كبيرة جداً فى إجراء أبسط الأعمال فى الضرب والقسمة ! !

أرجح أن كل هذا معروف لديك وتوافقنى عليه ، ولكن قد يزيد عجبك إذا علمت أن إشارة (الصفر) هى التى أوجدت أكثر التسهيلات التى تراها فى الترقيم ، وهى التى أعطت بعض الخصائص الممتازة للأرقام . لقد ظهر لك المقام العالى الذى يشغله (الصفر) فى البحوث الرياضية ، وأنه عامل مهم فى ترقيتها وفى تسهيل الصعب منها ، ولا نكون مبالغين إذا قلنا إنه لولا الصفر لما تقدم العلماء تقدمهم الغريب فى العلوم الرياضية . وهنا قد يحلو للبعض أن يتساءل ويقول : قد يكون للصفر هذا المقام فى الرياضيات ، وقد يكون له هذا الأثر الكبير فى ارتقائها ؛ ولكن ما علاقة ذلك بالمدنية ؟ وهل المدنية تقوم على الرياضيات ؟ !

وجواباً على هذا السؤال ، ليسمح لنا القارئ أن نعطى الجواب أولاً فنقول : نعم ، إن المدنية فى أساسها وجوهرها ترتكز على العلوم الرياضية .

إن كل فرع من فروع المعرفة يتقدم ويتناوله التغيير والتبديل ، وكلما اقترب من الأرقام زاد دقة فى التعبير ونحا نحو الكمال ونحو الذروة من الحقيقة . قال كانت Kant : « يكون العلم دقيقاً إذا استعمل العلوم الرياضية فى بحوثه » ولم يستطع العلماء أن يستفيدوا من بحوث الضوء ومن انكسار النور إلا بعد أن أفرغوا قوانين الانكسار فى قالب رياضى ، وبذلك استطاعوا أن يستعينوا بالمعادلات والأرقام فى العدسات التى تستعمل لإصلاح عيوب العين

إن علمى الفلك والفيزياء وصلا إلى درجة كبيرة من الدقة

والكمال ، وما ذلك إلا بفضل الأرقام والمعادلات . جرد هذين العلمين من رياضيتهما بل جرد الكيمياء الحديثة من معادلاتها وقوانينها وحينئذ لا يبقى إلا تعريفات ومبادئ لا يمكنك بحال من الأحوال أن تستفيد منها أو أن تطبقها فيما يعود على البشرية بالنفع والخير . ولن يستطيع العالم مهما كان قوى العقل خصب الفكر أن يقف على أسرار الطبيعة والكون . وان يستطيع الغوص فى بحارها ليقف على كنوزها وعجائبهما إلا إذا ألمّ بالرياضيات وكانت عنده خبرة بها ، وأن الكيمياء الحديثة فى حاجة إلى الرياضيات حاجتها إلى التجربة والاختبار ، وناهيك بالكيمياء فهى الأساس الذى شيد عليه صرح الصناعة فى هذا القرن وجعلها تزدهر هذا الازدهار العجيب . إن هذا العصر لهو عصر الهندسة وعصر الآلة ، وكل هذه فى حاجة إلى الرياضيات ولا يمكن الاستفادة منها أو تطبيقها على مقتضيات العمران إلا بذلك . قال البروفسور فوس Voss : « إن مدنيتنا التى ترتكز على الاستفادة من الطبيعة والسيطرة على عناصرها مبنية على أسس العلوم الرياضية » ، والهندسة وأنواعها والملاحة والصناعة كل هذه تحتاج إلى الرياضيات ، ولا يمكنها أن تستغنى عنها ، بل إن أسس إنشائها تقوم على الأرقام والمعادلات . وما يقال عن هذه يمكن أن يقال عن علوم أخرى إلى حد ما ، فإن هذه كلما تقدمت واستطاعت أن تدخل الأرقام فى بحوثها اقتربت من الدقة والكمال . فالعلوم على اختلافها إذا اقتربت من الكمال فإنها لا بد محلقة فى سماء العلوم الرياضية ، وفى جو من الأرقام والمعادلات

من هنا تظهر لنا الفوائد التى تجنيها المدنية من العلوم الرياضية وفى استعمالها فى العلوم والفنون الأخرى ، وقد ظهر أيضاً كيف أن الحضارة الصناعية مبنية على أسس من الأرقام والمعادلات ، وقد سبق أن أبنّا مكانة الصفر فى العلوم الرياضية وفضله فى تسهيل المسائل والأعمال ، ومن هذه النقطة يتبين للباحث فضل الصفر على المدنية والصناعة

وقبل الختام أود أن أوجه نظر القارىء إلى أنى أخشى أن يساء فهم هذا القول فيظن أن الصفر هو الكل فى الكل فى العلوم الرياضية وبالتالى فى المدنية ، ومع استبعادى لذلك أرغب فى القول بأن الصفر — ولا شك — عامل مهم فى البحوث الرياضية لا يستغنى عنه ، وهو لازم وضرورى لها ولتسهيل المعاملات والأعمال الحسابية ، وينتج من ذلك إلى أنه عامل مهم فى الصناعة والأعمال الإنشائية التى تحتاج إلى استعمال الأرقام والمعادلات . فاعجب لصفر يشغل هذا المقام السامى ويجنى منه الحضارة فوائد هى أعظم جانب من خطر الشأن

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٤/٩/١٩٤١ فى القضية رقم ٤٨٠ سنة ١٩٤١ ضد محمد محمد البنا بائع غاز بدمنهور بغرامة ٣٠٠ قرش صاغ والنشر على مصاريفه لامتناعه عن بيع الغاز بالسعر المحدد قانونا بالتسعيرة

هؤلاء الكتاب

للأستاذ م . دراج

. . . وقلت لنفسي : لقد أصبح الناس يقابلون بالشك والارتياب كتابة الكتاب والمفكرين . فإذا تقصيت السر وجدتهم على حق فيما يشكون ؛ فقد باع هؤلاء الكتاب حرية الفكر بعبودية المال ، ورضوا وهم طلائع الأمة أن ينقادوا لرجال المال والأعمال ؛ وقلما تتفق مصالح الشعب ومصالح أولئك الرجال ؛ ولعل هذا هو أكبر ما تعانيه من بلاء ، بل لعله السر الوحيد فيما وصل إليه المجتمع من تفكك وانحطاط .

فالتنافس في سبيل القوت قد انقلب إلى تناحر مادي فظيع ليس له حدود ، وطريق الاستغلال مفتوح على مصراعيه لكل طارق ، وليس للكائنات البشرية قيمة تذكر أمام الغاية الكبرى ، وهي جمع المال والإثراء بأي ثمن . فالذي يستطيع أن يأتي بقدر من المال في عمل ما يجد العامل الذي يرضى بالدون من الكفاف ؛ ويستطيع أيضاً أن يرغمه على العمل ليل نهار بزيادة بضع قروش أو بضع مليمات ! وله الحق في هذا ما دامت قوانين الدولة لا ترسم حدوداً لمثل هذا الاستغلال الفظيع ، وما دام الضمير الإنساني لا ينزعج لهذه الحال ؛ فكل شيء على ما يرام ! أفبعد هذا نلوم الناس على انصرافهم وشكوكهم في إخلاص المفكرين والكتاب ؟

أليس الدليل الواضح أمامنا في كتابات الصحف اليومية وغير اليومية يعطي أصدق برهان على فساد « التفكير الجماعي » عند هؤلاء الكتاب . إنهم ليفسحون لرجال المال صدور الصحف يكتبون ويعلنون فيها ما شاء لهم الغرض . ثم لا يجدون غضاضة في إعطائهم فرصة للكلام عن بؤس الفلاح وشقاء العامل واضطراب الموظف وحيرة الجماعات ، ومتاعب الشعب جملة وتفصيلاً ... ليستتروا وراء هذه الإعلانات في ثوب الطبيب الذي يتوجع لآلام المريض ، وهو يعلم أن بلسمه الشافي بين يديه ، ولكنه لا ينزل عن الثمن بأي حال !

هؤلاء الكتاب يسيئون الظن في ذكاء « الغريزة المصرية الواعية » مثلما يسيئون إلى الشعب المصري بقوائم الإحسان التي يعلنون عنها كل يوم في صحفهم . لقد فسدت عندهم مقاييس الإصلاح ، فتوهموا أن الكلام قد يغني عن الخبز ، وأن الإحسان أجدى وسائل الإصلاح ، وأن الدنيا بخير ما داموا هم سعداء ! إلا أن الشعب المصري لا يطلب إحساناً ولا بكاء . . . لا ، ولا إشفاقاً ، وإنما يبغي علاجاً حاسماً يقضي على أسباب المرض دفعة واحدة لا تقسيطاً ؛ ولن يكون هذا العلاج إلا « جماعياً » تؤمن به الدولة وتسنه قوانينها ، حتى إذا جرى مجرى التنفيذ أفاد كل « خلية » في جسم الأمة ، كما تغذي الدماء الأعضاء الشاملة بالحياة .

هراء ... محض هراء ... كل ما تذيعه الصحف من علاجات أرباب المال ، لأنهم لا يريدون إلا تبرعاً ، والتبرع قد يفيد شخصاً وقد ينجد أسرة ، وقد ينقذ ألفاً من الناس ، ولكنه لا ينقذ شعباً بأسره يعد الفقراء فيه بسبعة عشر مليوناً إلا بضع عشر ألفاً من الأثرياء .

هؤلاء الكتاب يعرفون — أو لا يعرفون — أن سكرة الموت يعقبها هزة عنيفة هي هزة اليأس أو الرجاء ، فماذا تراهم صائحين بأقلامهم الزيفة لو صح المريض ، وسلمت روحه من الفناء ، هل يظنون آنذاك أنها إحدى معجزات الإحسان ؟ ! أم يشهدون أن القوة الكامنة في قرارة النفس المصرية هي التي مهدت له طريق الحياة ؟

أيها الكتاب اطرحوا عنكم ضلال السادة . ثم اكشفوا الغطاء عن موطن الداء . تهيئون لكم وللناس فرصة طيبة للعودة إلى الحق والصراط المستقيم . فالتفكير الفردي لا يجذب الجماعات ، لأن الإحساس الجماعي يتطلب « تفكيراً جماعياً » ، ونحن في أشد الحاجة إلى هذا اللون من التفكير يسود أذهان الكتاب ، ولا شيء سواه يمكن أن يضيء للمجتمع طريقه إلى الخلاص وسط هذا الظلام .

والداء العياء لهذا البلد هو الإعسار الشديد في العيش ، والإظلام الشديد في العقول والقلوب ، حتى أصبحت البيئة المصرية مزرعة لملايين الأمراض البشرية ، والأمية سبة في جبين كل مصري يتبعها انحطاط في الأخلاق والتفكير والأحوال المعاشية بوجه عام

داء مصر الوحيد هو الفقر بعينه بشهادة اللجنة المالية لمجلس الشيوخ . فإذا استطعتم أن تقولوا كلمتكم في هذا المرض العضال وشرحتم أسبابه وفصلتم نتائجه ورسمتم على هذا النهج طريق الخلاص ، أمكنكم النهوض بهذه الأمة سريعاً ، أما غير ذلك فضرب من المحال ، وضجة وتشويش في غير مجال .

م . دراج

١٤ – المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

الحكومة – تابع الفصل الرابع

يحكم بطريرك الأقباط ، وهو الرئيس الأعلى لكنيسته ، في القضايا الصغيرة بين المتقاضين من طائفته في العاصمة ؛ ويقوم مرؤوسوه من القسس مقامه في البلاد الأخرى ؛ وقد تستأنف أحكامهم أمام القاضي . والمسلم الذي يعتدي عليه قبطي أن يرفع أمره إلى البطريرك أو إلى القاضي . أما القبطي الذي يقاضي المسلم فيجب عليه أن يقصد القاضي ؛ واليهود كذلك . والفرنجة أو الأوربيون على العموم لا يخضعون إلى غير قناصلهم إلا إذا جنوا على مسلم فيسلمون إلى السلطات التركية التي تستأنف أمامها من ناحية أخرى قضايا الفرنجة الذين يعتدي عليهم أي مسلم

ويخضع سكان الأقاليم لحكم المستخدمين الأتراك والمصريين . ويقسم القطر المصري إلى عدة مديريات واسعة يتولى كلا منها عثمانلي . وتقسم هذه المديريات إلى مراكز يديرها موظفون من الوطنيين يلقبون (بالمأمور) و (الناظر) . وللقرية كالمدينة شيخ يسمى (شيخ البلد) ، ويكون من أهل القرية المسلمين . وكان هؤلاء المستخدمون جميعاً ، ما عدا شيخ البلد ، أتراكا من قبل . وكان هناك ولاة أتراك آخرون يتولون المراكز ، وكان يطلق عليهم اسم (كاشف) و (قائمقام) وقد حدث هذا التغيير قبيل زيارتي الثانية لمصر . ويشكو الفلاحون من أن حالهم أصبحت أسوأ مما كان قبلاً . ولكنهم على العموم يقاسون طغيان الولاة الأتراك أشد مقاساة

ويبين الحادث الآتي حالة الفلاح المصري في بعض الأقاليم بعض البيان

في ليلة ما ذهب حاكم مدينة طنطا[1] وهو تركي[2] سيء السيرة والسلوك ، إلى أهراء الحكومة بالمدينة ، فوجد فلاحين نائمين هناك . فسألهما من يكونان وماذا يفعلان في هذا المكان . فقال أحدهما إنه أحضر من إحدى قرى المركز ١٣٠ أردباً من القمح . وقال الآخر إنه أحضر ٦٠ أردباً من أرض تابعة للمدينة . فقال الحاكم لهذا : « أيها اللص ! هذا الرجل يورد ١٣٠ أردباً من قرية صغيرة ، وأنت تورد ٦٠ أردباً من أراضي المدينة ؟ . فأجاب فلاح طنطا : « هذا الرجل لا يورد القمح إلا مرة واحدة كل أسبوع أما أنا فأورده كل يوم . فأسكته الحاكم وأمر أحد الخدم أن يشنقه على فرع شجرة قريبة . فنفذ الأمر وعاد الحاكم إلى منزله . وفي الصباح التالي عاد ثانياً إلى الأهراء فبصر برجل ينقل غلالاً كثيرة إلى الداخل . فاستفسر عنه وعن المقدار الذي أتى به . فأجابه الخادم الذي شنق الفلاح في الليلة السابقة : « هذا هو الرجل يا سيدي الذي شنقته إطاعة لأوامرك ليلة أمس وقد أحضر ١٦٠ أردباً » فصاح الحاكم : « ماذا ؟ هل بعث الرجل من قبره ؟ » فأجابه الخادم : « لا يا سيدي . إني علقته وقدماه كانتا تلمسان الأرض ، ولما انصرفت حلت عقدة الحبل . إنك لم تأمرني بقتله » فدمدم التركي قائلاً : « آها ! إن الشنق والقتل شيئان مختلفان . إن اللغة العربية غنية . في المرة القادمة سأقول اقتل . اعتن بأبي داود[3] » وهذه هي كنية الرجل

وأذكر حادثة أخرى تناسب المقام زيادة في بيان طبيعة الحكومة التي تحكم المصريين يومئذ : عُين فلاح ناظراً على المنوفية قبيل قدومي الثاني إلى مصر . وفي أثناء جباية الضرائب طولب فلاح فقير بمبلغ ستين ريالاً ؛ والريال تسعون فضه فالمبلغ مائة وخمسة وثلاثون قرشاً

---

(١) هكذا تنطق الآن . وكانت سابقاً طندتا (انظر الخطط التوفيقية لعلي باشا مبارك الجزء الثالث عشر صفحة ٤٥ : طندتا بمهملة مفتوحة فنون ساكنة فدال مكسورة فمثناة فوقية مقصورة . كذا صح من بعض الفضلاء ، والعامة يقولون طنتا وهي مدينة كبيرة ، واسمها القبطي القديم طنيطاد ، وقال ابن حوقل إن طندتا قرية كبيرة بها جوامع وأسواق وملحق بها جملة قرى) . المترجم

(٢) سليمان أغا السلحدار وقد توفي حين كتابة هذا الكتاب

(٣) أبو داوود وأبو علي : كنية يستعملها فلاحو مصر على العموم ولا تعني والد داوود أو والد علي . وإنما تعني الذي أبوه داوود أو علي

فقال الفلاح إنه لا يملك غير بقرة لا تكاد تصلح شأنه وتقيم أوده هو وعائلته . فلم يأمر الناظر بضربه كما هي العادة عند ما يمتنع الفلاح عن دفع الضريبة ، وإنما بعث بشيخ البلد ليأتي ببقرة الفلاح المسكين، ثم أمر بعض الفلاحين بشرائها . فلم يستطع أحد شراءها لقلة المال . فأرسل الناظر في طلب الجزار وأمره بذبح البقرة وتقطيعها ستين قطعة . وبعد أن دفع إلى الجزار رأس البقرة أجرة له ، أحضر ستين فلاحاً معاً وأجبر كلا منهم على شراء قطعة من البقرة بريال . فذهب صاحب البقرة باكياً شاكياً إلى محمد بك الدفتردار رئيس الناظر وقال له : (ياسيدي أنا مظلوم بائس . لم أكن أملك غير بقرة واحدة ، بقرة حلوب كان لبنها قوتنا أنا وعائلتي ، وكانت تحرث لي الأرض وتدرس الغلال . وكانت معيشتي كلها عليها . وقد أخذها الناظر وذبحها وقطعها ستين قطعة باعها إلى جيراني بستين ريالاً . بينما كانت تساوي مائة وعشرين ريالاً أو أكثر . أنا مظلوم بائس غريب عن هذا المكان لأني من قرية أخرى ؛ ولكن الناظر لم يرحمني . وقد أصبحت أنا وعائلتي نسأل قوتنا ولم ندخر شيئاً . رحمتك وعدلك ياسيدي . أتوسل إليك بقداسة حريمك) فأمر الدفتردار بإحضار الناظر وسأله : (أين بقرة هذا الفلاح ؟) فقال الناظر : (بعتها) . (بكم ؟) . (بستين ريالاً) . (ولماذا ذبحتها وبعتها ؟) كان على صاحبها ستون ريالاً ضريبة على الأرض، فأخذت البقرة وبعتها وفاء للمبلغ . (وأين الجزار الذي ذبحها ؟) . (في منوف) ، فأرسل الدفتردار في طلب الجزار ، فلما قدم قال له : (لماذا ذبحت بقرة هذا الرجل ؟) فأجاب الجزار : (إن الناظر أمرني وما كان لي أن أعصى أمره لئلا يضربني ويخرب بيتي . وقد ذبحتها وأعطاني الرأس أجرة لي) ، فقال الدفتردار : (يا رجل هل تعرف من اشترى اللحم ؟) فرد الجزار بالإيجاب . فأمر الدفتردار ناموسه بكتابة أسماء الستين رجلاً وإرسالها إلى شيخ بلدتهم لإحضارهم إلى منوف حيث أقيمت الشكوى ؛ وسجن الناظر والجزار . وفي اليوم التالي قدم شيخ القرية ومعه الفلاحون الستون . فأخرج السجينان وأوقفا بين يدي الدفتردار فسأل شيخ البلد والفلاحين : (هل كانت بقرة هذا الرجل تساوي ستين ريالاً ؟) فأجابوا : (ياسيدي إن قيمتها كانت أكبر) فبعث الدفتردار إلى قاضي منوف وقال له : (يا قاضي ، هذا رجل ظلمه هذا الناظر بأخذ بقرته وذبحها وبيع لحمها بستين ريالاً . فما حكمك ؟) فأجاب القاضي : (إن من يظلم أحد الرعية طاغية قاس . ألا تساوي البقرة مائة وعشرين ريالاً فباعها الناظر بستين ؟ إنه ظلم صاحبها) . فقال الدفتردار لبعض جنده : (اقبضوا على الناظر وجردوه من ملابسه وأوثقوه) . ثم قال للجزار : (يا جزار ألا تخشى ربك ؟ لقد ذبحت البقرة ظلماً » فأوضح الجزار مرة أخرى أنه إنما اضطر إلى إطاعة أمر الناظر . فقال الدفتردار : (أتنفذ ما آمرك به ؟) فأجاب الجزار : (نعم) . فقال الدفتردار : (إذبح الناظر) . وسرعان ما قبض الجند عليه وألقوه على الأرض ونحره الجزار كما ينحر الحيوان . فقال الدفتردار : (قطعه ستين قطعة) . فنفذ الجزار الأمر والحاضرون يتأملون هذا المنظر ولا يجرؤون على الكلام . ثم أمر الدفتردار الفلاحين الستين أن يتقدموا واحداً واحداً ، وفرض على كل منهم قطعة من لحم الناظر بدفع ريالين . وبهذه الطريقة حصل على مائة وعشرين ريالا . وبعد انصراف الفلاحين سأل الدفتردار القاضي : ماذا يكون جزاء الجزار ؟ فأجاب القاضي أن يجازى كما جازاه الناظر . فأمر الدفتردار أن يعطى رأس الناظر . وفرح الجزار بنصيبه الذي لا يساوي شيئاً وهو يحمد الله على أن حظه لم يخنه أكثر من ذلك . وانصرف وهو لا يكاد يصدق أنه نجا بهذه السهولة . أما صاحب البقرة فدفع إليه ثمن لحم الناظر

ويتعدى أغلب حكام الأقاليم في طغيانهم حدود السلطة التي خولهم الباشا إياها ؛ حتى شيخ القرية يسيء استعمال سلطته الشرعية عند ما ينفذ أوامر رؤسائه . وليست وظيفة شيخ القرية منصباً يقبض صاحبه مرتبه بلا عمل . ففي وقت جباية الضرائب كثيراً ماينال شيخ القرية من الضرب أكثر مما ينال مرؤوسيه ، إذ أنه عند ما لا يورد سكان القرية المبلغ المطلوب يضرب الشيخ لتقصير الفلاحين . وهو لا يدفع دائماً نصيبه حتى يشبع ضرباً . ويفتخر الفلاحون أجمعون بما يترك الكرباج على أجسادهم من آثار لرفضهم دفع الضرائب . وكثيراً مايتباهون بعدد الضربات التي نالوها قبل

أن يدفعوا نقودهم . ويصف أميانوس أرسليوش Ammianus Marcellinus [(١)] مصر فى زمنه بالخلق نفسه

ويبلغ إيراد والى مصر ، على ما يقال ، ثلاثة ملايين جنيه استرليني [(٢)] يرد نصفها تقريباً من الضرائب المباشرة على الأطيان ومما يؤخذ من الفلاح ظلماً بطريق غير مباشر . ويرد النصف الباقى على الأخص من الرسوم الجمركية والضرائب على النخيل ومن بيع محصولات الأرض المختلفة التى تكسب الحكومة منها ما يزيد على الخمسين فى المائة . وقد نمى الباشا الحالى إيراده إلى هذا القدر باتباعه أشد الوسائل تعسفاً . فقد نزع من الملاك أراضيهم ومنحهم معاشاً بنسبة مساحة الأرض وصفاتها . ولذلك لم يكن المزارع ما يخلفه لأولاده غير كوخه ، وقد يترك لهم بعض الماشية وبعض مدخرات طفيفة

وتقدر ضرائب الأطيان المباشرة حسب مزايا الأرض الطبيعية . ويبلغ متوسطها حوالى ثمانية شلنات للفدان [(٣)] ، ولكن الفلاح لا يستطيع أن يحصى ما تطلبه الحكومة منه . فهو يعانى الكثير من الطلبات غير المباشرة (وهى تختلف باختلاف السنين ولكنها تفرض على الفدان) من الزبدة والعسل والشمع والصوف والسلال المصنوعة من السعف ، والحبال المفتولة من ألياف النخيل ، وغير ذلك من المحاصيل . ويجبر الفلاح أيضاً على دفع أجرة الجمال التى تحمل الغلال إلى شونة الحكومة ، وعلى القيام بنفقات عديدة أخرى . وتستولى الحكومة على جزء من محصول الأرض [(٤)] ، وقد تستولى على المحصول كله بثمن مناسب معين لا يفى مع ذلك فى عدة أقاليم ما تبقى من ديون الفلاحين المصريين [(٥)] . وكثيراً ما يضطر الفلاح للحصول على ضروريات الحياة ، أن يسرق محصول أرضه ويحمل ما يستطيع حمله إلى كوخه سراً . ويحضر الفلاح بذور أرضه بنفسه أو يأخذها سلفة من الحكومة ، ولكنه فى هذه الحالة قلما يتحصل على كمية كافية من التقاوى لأن القائمين بالأمر يسرقون منها مقداراً كبيراً قبل أن يسلموها للفلاح . ولا يتسع هذا الكتاب لذكر ما يعانيه الفلاح المصرى من ظلم المأمور والمستخدمين وخياناتهم . ويندر أن يستطيع الفلاح أن ينعم بالحياة مع شدة العذاب ، لذلك لا أرى ضرورة للقول بأن الفلاح قلما يثابر على تحمل أعباء الزراعة إلا إذا أجبره على ذلك الحكام

ولم يستول الباشا على الملكية الخاصة فحسب ، بل أضاف إلى خزائنه كثيراً من دخل المنشآت الدينية باعتبار أن أموالها المتراكمة تزيد على اللازم . وقد بدأ بفرض ضريبة — حوالى نصف ضريبة الأرض المنتظمة — على الأراضى الموقوفة على المساجد والسبل والمدارس العامة . . . الخ . ثم استولى على هذه الأراضى استيلاء تاماً ومنح عوضاً عنها بعض رواتب سنوية لترميم المبانى ولنفقة الأشخاص التابعين للوقف من نظار وموظفين دينيين وخدم وطلبة وغيرهم من المستحقين . وقد أثار الباشا بهذا مقت رجال العلم والدين الشديد ، وعلى الأخص نظار المساجد الذين كانوا يثرون من الأموال الوافرة المودعة تحت رعايتهم وأمانتهم . أما ما وقف على خدمة المساجد والمنشآت العامة (وهى أوقاف مختلفة وقفها كثيرون من طبقات مختلفة) فلم يمسها الباشا حتى الآن

وقد بلغت ضريبة النخيل حوالى مائة ألف جنيه استرليني ، وهى تقدر حسب أنواع النخيل ، وتكون — على العموم — بمقدار قرش ونصف قرش على كل نخلة

وتبلغ ضريبة الدخل المسماة « الفِرْدة » على العموم ١/١٢ أو أكثر من دخل الرجل أو مرتبه السنوى إذا أمكن تحديد ذلك ، إلا أن الحد الأقصى لا يتعدى خمسمائة قرش . وهى تفرض فى المدن الكبيرة على الأفراد وفى القرى على المنازل . وتبلغ ضريبة الدخل فى العاصمة ثمانية آلاف كيس أو حوالى أربعين ألف جنيه استرليني

ويدفع سكان العاصمة وغيرهم من سكان المدن الكبيرة ضريبة ثقيلة على الحبوب الخ . وضريبة الحبوب ثمانية عشر قرشاً على الأردب من كل نوع ، وهذا المقدار يساوى ثمن القمح فى مصر وقت المحصول الطيب

(يتبع) عدلى طاهر نور

---

(١) وهو أشهر مؤرخى الرومان فى القرن الرابع بعد الميلاد . وكان من يونانى سوريا . ولد بأنطاكية بين سنتى ٣٢٥ و ٣٣٠ على التقريب ، وتوفى بعد سنة ٣٩١ . سلك نفسه فى نظام الجيش واشترك فى عدة حملات ثم رحل إلى إيطاليا حيث كتب تاريخ الامبراطورية الرومانية فى ٣١ جزءاً (المترجم)

(٢) وبعضهم يقدره بخمسة ملايين والبعض الآخر أكثر من مليونين بقليل

(٣) وقد أنقصت مساحة الفدان أخيراً

(٤) وتستولى الحكومة دائماً على بعض المحصولات كلها مثل القطن والكتان الخ

(٥) حتى ديون قرية ما كثيراً ما تفرض على سكان قرية أخرى سبق أن دفعوا ما عليهم

جواب على تعزية

لا تقولي (عزة) صبراً إننى ... أجد الصبر على خطبى محالا
كيف يُرجى من فؤاد حشوه ... لهبٌ أن ينضج الماء الزلالا
كلفيني وُسع نفسى واعلمى ... أن للأنفس عجزاً واحتمالا

كل حيٍ، كان ميتاً، صائرٌ ... إذ يحين الحين الموت مآلا
عمرنا للموت شوط وبه ... خطوات الموت سراً تتوالى
أنت إذ تصبح حيًا يبتدى ... عمل الموت نمواً وانحلالا
وإذا ما عمل الموت انتهى ... قلت جاء الموت جهلاً وضلالا
فى الحياة اختبأ السرُّ الذى ... فيه صار الموت للحىِّ كمالا

حكم بالغة نعرفها ... وبها ننعم فى السرّاء بالا
وإذا الضرّاء مسّتْ وقستْ ... عادت الحكمة وهماً وخيالا
أثر الحكمة فى النفس ولنْ ... تجدَ الحكمةُ فى الحسِّ مجالا

من يكن فى صدره متّسعٌ ... للرزايا، منه حبل العمر طالا
إنما يأكل أيامَ الفتى ... همُّه، فاحذر من الهم اغتيالا
وارتقب فى كل يوم عجباً ... فالليالى بالأعاجيب حبالى
الصفا تحويك منه ساعة ... والشقا يطويك أعواماً طوالا
فاغتنم من روْح ساعات الصفا ... ما يعزّيك إذا الصفو استحالا
وادّخر من صحة تحظى بها ... قوةً تلقى بها الدّاء العضالا
واتخذْ من صحو أيام الرضا ... ما يقيم العقلَ إن سكرٌ أمالا

هذه أشجاننا يسمعها ... ساهر الليل إذا الهم استطالا
وعليها تهجع العين التى ... ضلّ عنها طارق الهمّ ومالا
مقلة تذرف دمعاً وفمٌ ... ليس يبدى، خشيةَ الله، مقالا

لا تقولى كيف يبكى رجلٌ ... يملأ الأعين حزماً وجلالا
حكمة الجبار فينا جعلت
من صروف الدهر ما يبكي الرجالا ...

«طرابلس — الشام» (م. ج)

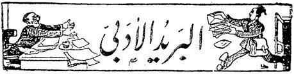
نظـــرة ...!

لما نظَرتِ إلى أمسِ مُليحةً ... بين الجموع بلحظكِ المرتاب
رَفّتْ على شفتيكِ بسمةَ حائرٍ ... ما بينَ شِبْهِ رضًى وشبه عتاب
فقرأتُ فى عينيكِ عمرىَ كله ... وفهمتُ أنى قد أضعْتُ شبابى
وذهبتُ لا ألوى على نفسى وبى ... مما تسعّرَ فى الجوانح ما بى
ضاقتْ بى الدنيا وكم ضاقت إذا ... ماجدَّ بى وجدى وعبَّ عُبابى
لخصتُ عمرىَ كلَّه فى نظرةٍ ... زادت بحيرَتها علىَّ عذابى
والله ما كان ابتعادى عن قِلًى ... أبداً ولا عن هجْرةٍ وغضابِ
لكنّما الأقدارُ قد لعِبَتْ بنا ... ولعابُها فى العمرِ شرُّ لعابِ
واليومَ أنفقْتُ الشبابَ وكان لى ... كنزاً أبدِّدُه بغير حساب
وغدوتُ إنْ سِربُ الملاح مرَرْنَ بى
أغضى بقلبٍ في ضلُوعى كاب
أصبحتُ أنفُرُ من جمالٍ عابر ... يهتاجُ حُبًّا كان لى ونبابى
ويُعيدُ ذكرى ناظريكِ وفيهما ... نورٌ خبا عنى وليس بخابِ
تذكو به نيرانُ وجدى مثلما ... فى القفر يُذكى الظمْأ لمعُ سَراب
حسبى عقاباً فى الحياة بأننى ... يا هندُ قد صارَ الجمالُ عقابى

خليل شيبوب

لا تقـــل ...!

أيها الراحلُ عن عيني غدًا ... كيف أحيا نائياً عن ناظريكْ
آهِ لو تعلمُ ما سوفَ أرى ... فى ليالى البعدِ ما هُنت عليكْ
كيف أحيا بين همى واشتياقى
أشربُ الآلامَ من كأس الفراق
وألاقي فى التنائى ما ألاقي
من أسى دهرِى إلى يوم التلاقى
لا تَقُلْ منا دنا
يوم النوى
يا هوى نفسى وآمالَ مُناها



العروبة لغة لا جنس

نشرت «الرسالة» كلمة كريمة لحضرة «الفاتح النور» في التعقيب على البحث الذي أرسلته لمؤتمر الخريجين في السودان، وهو يقول إن من سمع ذلك البحث أو قرأه يعتقد أن العروبة في السودان لغة لا جنس، مع أن بالسودان أكثر من النصف من العرب العريقين

وأجيب بأن السودان لم يشغلني بالذات وأنا أعد ذلك البحث، وإنما هو بحث عام أردت به رفع الأشواك من طريق العروبة في أقطار اللغة العربية

ومن كلام هذا الأديب فهمت أن سكان السودان نصفهم عرب ونصفهم غير عرب، «من حيث الجنس» وأنا أريد غير ما يريد، أنا أريد أن تكون العروبة صفة أساسية لكل من يتكلم اللغة العربية، ولو كان أجداده من الصين

وأقول مرة ثانية إن اعتزاز العرب بالجنس كان له تأثير سيء في تاريخ اللغة العربية، فهو الذي أقام في طريقها العقبات بالمشرق والمغرب، وهو الذي أوجب أن يحرص الفردوسي على أن تخلو «الشاهنامة» من جميع الألفاظ العربية، وهو الذي ساق أتاتورك إلى كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية بعد أن كانت تكتب بالحروف العربية في آماد طوال طوال

ويرى هذا الأديب أني لا أستطيع الكتابة عن السودان

لا تدعني والضنى
إن الهوى
شعلة في القلب لا يخبو لظاها
أترى أحيا هنا
نهب الجوى
تبلغ الآلام مني منتهاها
فارحم القلب ولا تقس عليه   فؤادي ما هفا إلا إليك
عشت دنيا النور والصفو لديه   يا ترى هل عاش كالدنيا لديك؟

(الإسكندرية)   **مصطفى علي عبد الرحمن**

بصدق إلا بعد أن أزوره وأتحدث مع عربان كردفان؛

وأقول إن الغاية مختلفة بعض الاختلاف، فأنا لا يهمني أن يثبت أن سكان السودان كلهم أو جلهم من سلالات عربية، بقدر ما يهمني أن يثبت أن اللغة القومية لجميع أهل السودان هي اللغة العربية

وهنا يتسع المجال لحقيقة قليلة الخطور في البال، وهي أخوال الأشراف المنسوبين إلى الرسول، فقد كان للرسول زوجات من أجناس مختلفات، وكان من الممكن أن يكون للأشراف أخوال من الأقباط واليهود لو بقيت له أعقاب من جميع تلك الزوجات

أتريدون الحق؟

الحق أن العرب يبتعدون من تعاليم زعيمهم الأكبر وهو محمد، وهذا الابتعاد جديد، فمن أسماء المسلمين عيسى وموسى وهرون وإسحاق ويعقوب وإبراهيم، ولي صديق من نصارى العراق سيسمي ابنه محمداً حين يرزقه الله بمولود، ليؤكد القول بأن محمداً زعيم العرب بغض النظر عن اختلاف الدين

إن صدري ليضيق بالخلاف الذي يقع من غير موجب، وأنا أدعو إلى تقديس الفكرة التي تقول بأن «الخال والد» والعرب صاهروا أكثر الشعوب، ونقلوا إلى سلالتهم كثيراً من الخصائص بفضل التسامح في العصبية الجنسية، فكيف نخرج على تقاليد أولئك الأسلاف، بل كيف نخرج على أدب الرسول؟

العروبة لغة لا جنس

ولي من هذا الرأي هدف لا يخفى على إخواني في جميع البلاد العربية، وسأجاهد في تأييد هذا الرأي بما أملك من الوسائل والأساليب، إلى أن يصبح من البديهيات

ويسرني أن أسجل أني لا أقول وحدي بهذا الرأي، فهو اليوم شريعة أدبية لجميع المتكلمين باللغة العربية على اختلاف الأجناس، وسترون كيف يصبح هذا الرأي من المعتقد بعد قليل من الزمان

زكي مبارك

الخباز

من المآخذ التي أخذها الأستاذ عبد السلام هرون على كليلة ودمنة ما جاء في ص ١١٥ س ١٣ «رأس الخنازير وسيد الخنازير» قال: «عندي أنها رأس الخبازين وسيد الخبازين» واستدل ببعض النسخ

ولكن محقق الكتاب الفاضل الدكتور عبد الوهاب عزام

لم يرتض هذا الرأى فرد عليه فى العدد ٤٣٤ من الرسالة قال : « وأرى أن الخنازر أقرب إلى الصواب ، لأن دمنة وصف هذا الرئيس بصفات الخنازير ، وليس فى وصفه بأنه صاحب المائدة ما يجعله خبازاً الخ . »

قلت : ظاهر عبارة الدكتور الأخيرة «وليس فى وصفه الخ . » أن الخباز غير صاحب المائدة ، وأن هذا من الأسباب التى يستبعد لها أن يكون المقصود خبازاً

وقد أوقع الدكتور الفاضل فى هذا فهمُه « الخباز » بمعنى صانع الخبز ، وهو كذلك ، ولكن للخباز معنى آخر ورد كثيراً فى كتب الجاحظ والمسعودى ، ولعله كان على عهد ابن المقفع . وهو استعماله بمعنى (خادم المائدة) أى ما نسميه الآن (السفرجى)، ولعله يقوم أحياناً بصنع بعض الطعام

وقد يبدو هذا الاستعمال غريباً لندرته ، ولكنك حين ترجع إلى ما أثبت من النصوص لا تجد ثم مجالاً للريب فى صحته

١ — فى كتاب البخلاء للجاحظ ص ١٦٠ : « قرّب خباز أسد بن عبد الله — وهو على خراسان — شواء قد نضجه نضجاً . وكان يعجبه ما رطب من الشواء ، فقال لخبازه : أتظن أن صنيعك يخفى علىّ ؟ »

٢ — وفى البخلاء ص ١٦٤ : «جاء الخبازون فرفعوا الطعام»

٣ — وفيه أيضاً : « إذا دعا على مائدته بفضل دجاجة ... رد الخادم مع الخباز إلى القهرمان[١] حتى يصك له بذلك إلى صاحب المطبخ »

٤ — وفى الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ٢٦ : « إن العرب[٢] تقول للرجل الصانع ... خبازاً إذا كان يطبخ ويعجن »

٥ — وفى الحيوان ج ٥ ص ١٣٦ : « ولذلك صار الخبازون الحذاق قد تركوا الضأن لأن المعز يبقى شحمه ولحمه فيصلح أن يسمن مرات فيكون أصلح لأرباب العرس »

٦ — وفى « التاج فى أخلاق الملوك » للجاحظ أيضاً ص ١٧٣ : « فلا يوضع عليها إلا الخبز والملح والخل والبقل ، فيأخذ منه شيئاً هو ومن معه ، ثم يأتيه الخباز بالبزماورد[١] فى طبق الخ . »

وعلق على كلمة الخباز فيه محققه العلامة المغفور له أحمد زكى باشا بما ذكرنا من أنه خادم المائدة

٧ — ولعل مصدر هذا الاستعمال ما ورد فى القاموس والمختار والأساس أن (خبزَ القومَ) معناها (أطعمهم الخبز)

قلت : فالخابز — والخباز مبالغة منه — هو المطعمُ الخبزَ ، ثم لعله توسع فيه فأطلق على المطعم أياً كان طعامه وهو خادم المائدة

وبعد . فورود هذا اللفظ فى هذا المعنى مما يؤيد الأستاذ هرون بعض التأييد ، ويوهى إحدى حجج الدكتور الفاضل

(بنى سويف) محمد محمود رضوان

الأسود بن قنان

قرأت كلمة فى (الرسالة) تحت هذا العنوان للأستاذ على الجندى ، وأقول : إن مآثر « الأسود » الغر وأياديه البيض حملت بديع الزمان الهمذانى على أن يكتب مقامة باسم « المقامة الأسودية » نسبة إليه ، أتى فيها بما يراه القارئ

وبهذه المناسبة أقول : إن الذى أرشدنى إلى هذا المصدر ، هو الأستاذ البحاثة محمد فؤاد عبد الباقى

على حسن قطرى
بالمجمع اللغوى

مصر بين القطن والقمح

أذاع العالم الزراعى الكبير الأستاذ حسن الزينى بك حديثاً بالراديو على المزارعين أقنعهم فيه بمنطق الأرقام أن زراعة الحبوب على اختلافها أوفر وأيسر من زراعة القطن . وأهاب بكبار الملاك وبمصلحة الأملاك أن يكونوا قدوة للفلاحين فى الإقلال من القطن والإكثار من القمح تأميناً لأقوات الشعب وتخفيفاً عن الفقير فى هذه الظروف العصيبة . فإن من أعجب العجب أن تكون مصر فى عصورها المختلفة من أوسع أهراء العالم للحبوب ثم لا يجد أبناؤها الرغيف إلا بشق الأنفس . وكان حديث الأستاذ واضحاً كل الوضوح مقنعاً كل الإقناع ؛ فعسى أن يكون قد وقع من سامعيه موقع الرضى والاستجابة .

(١) القهرمان : الخازن والوكيل الحافظ لما تحت يده

(٢) ورد هذا الاستعمال إلى العرب مما يقرب استعمال ابن المقفع له

(١) البزماورد كما فى « شفاء الغليل للخفاجى » كلمة فارسية استعملها العرب للرقاق الملفوف باللحم

تصويبات :

قرأت مواضع من الجزء الحادي عشر من تفسير القرطبي ، فوجدت فيها الأغلاط الآتية :

ص ٣ س ٢٢ : (مدجح) صوابها : (مدجج) . وص ٢٦ س ١ : (أنتَهون) والصواب : (أنتُهون) . وص ٢٦ س ١١ (عبَّدا) صوابها : (عبْدا) . وص ١٣٥ س ١٤ : (القرَور) والصواب : (القرُور) . وص ١٥٣ س ١٤ : (يريدون) صوابها : (يردون) . وص ١٨٧ س ٧ : (يلوَمها) صوابها : (يلوُمها) . وص ٢٦٨ س ٢٣ : (كثيرة) والصواب : (كثير) . وص ٣٢٠ س ١٤ : (وأما مايوسها) صوابها : (وأما يوسها) . وص ٣٤١ س ٢٢ : (كما اللسان) صوابها : (كما في اللسان)

أحمد صفوان

النفط

أستاذنا الكبير صاحب الرسالة

ذلك تحقيق لنوى عثرت عليه في مطالعاتي بمجموعتي من « المقتطف » سنة ١٩٢٨ ، في الجزء الخامس من المجلد الثاني والسبعين تحت مقال للدكتور أمين المعلوف صاحب المعجم الظريف في « علم الحيوان »

قال الدكتور :

« النِّفط والقار والقير والكُفر والقُفر وقفر اليهود والحُمَر والزفت والمومياء والقَطْران مواد هدروكربونية مؤلفة من الهدروجين والكربون على نسب مختلفة والعلماء في أيامنا يطلقون القار وهو يطلق عند الرومان على جميع هذه المواد ، سواء كانت جامدة كالحُمَر، أو سائلة كالنفط، أو هوائية كالغاز الحقيقي . فالنفط بكسر أوله وإسكان ثانيه وقد يفتح أوله ، دُهن معدني أبيض أو أسود ضارب إلى الخضرة سريع الاحتراق يسمى باللاتينية بتروليوم أي دهن الحجر أو زيت الحجر

ولفظة النفط عربية سامية قديمة جداً أخذها اليونان عن العرب وقالوا نفثاً وهي معناها . ومما يدل على أصلها السامي أنها بالسريانية والعبرانية مثل العربية مع اختلاف قليل في اللفظ . ثم إن اليونان كانت أول معرفتهم بالنفط في العراق، وكان من البديهي أن يسموه نفطاً كما سماه العراقيون من سريان ويهود وعرب ؛ ولعله سمي بذلك لخروجه من باطن الأرض ، كما يتضح من مادة نفط ومشتقاتها في كتب اللغة . كذلك نفث ونبط ونبض ونبث ونبش وأشباهها ، فكلها تدل على الخروج أو الدفع ثم تفرع من ذلك معنى الاحتراق . كقولنا تنفط الرجل غيظاً أي احترق ... »

ثم قال بعد كلام كثير مفيد . . . والنفط كما تقدم لفظة عربية فصيحة وهي شائعة عن العراقيين ...

(المنصورة) حسين محمود البشبيشي

جماعة تيسير الحج

ترحب بكل مستفهم عن جميع ما يتعلق بحج بيت الله وزيارة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل أمر يهم الحاج معرفته من أحكام دينية وحاجات السفر وأجور الانتقال وزيارة الآثار .

والجماعة إذ ترشد لشيء فإنما ترشد عن تجربة وخبرة تامة ؛ لأن أعضاءها ممن رزقهم الله حج بيته ، وقد سنحت لهم الفرص بتصوير جميع المشاهد الإسلامية التي ينبغي أن تزورها في مكة والمدينة

وإذا شرفت مقر الجماعة أخذت فكرة حقيقية عن الحج قبل سفرك ، وشاهدت أكثر من ستين صورة من صور الأماكن المقدسة ، وإن شئت الاستفهام بالرسائل فالجماعة على أتم استعداد للاجابة .

وللجماعة عدا الإرشاد غرض هام آخر ، هو أنها تساعد من يريد الحج على توفير المال اللازم له ، كما أنها تمده بجميع ما يحتاج إليه منه وفق قانونها .

وقد خصصت الجماعة لاستقبال الحجاج يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع فيما بين الساعة الرابعة والسادسة مساء بشارع رفعت رقم ٢٧ شبرا مصر

وكيل الجماعة
محمد الشافعي
مدرس بمدرسة شبرا الابتدائية للبنات

جريدة الواجب

نقلت جريدة « الواجب » الأسبوعية التي تصدر من مدينة المنصورة لصاحبها الأستاذ أحمد جاد جمعة إلى مدينة القاهرة شارع البراموني رقم ٦ تليفون ٤٧٧٣٨ وستظهر في ثوب جديد قشيب، يشترك في تحريرها نخبة من رجال الأدب والمحامين .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)